٦

الروائع

ابن بطوطة

٣ ٤٧ ع

تحفة النظار

في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

اهدائي
سرود ٣

٧٩٢/٢٠

ابن بطوطة

تحفة النظار

١٢٧٩٦

في غرائب الامصار، وعجائب الاسفار

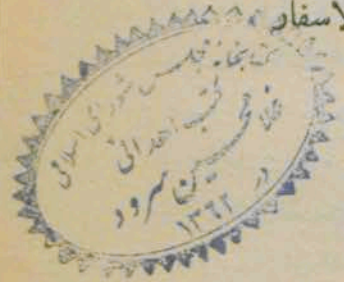

درس ومنتخبات

٢٧٨٢٢٩

بقلم

فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

كتابخانه خصوصى
غلامحسين - سرود

الجزء الثالث

جميع الحقوق محفوظة للمطبعة

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٢٧

ابن بطوطة ورحلته

وُلد ابو عبد الله محمد المعروف بابن بطوطة في طنجة سنة ١٣٠٤. ولم يبلغ الثانية والعشرين من عمره حتى دفع به عامل التقوى الى الحجّ، فقصد مكة سنة ١٣٢٥. غير ان حبّه للاسفار ساقه الى مختلف البلاد: فقام برحلة اولى زار بها افريقيا الشمالية، فسوريا، فجزيرة العرب، فافريقيا الشرقية، فآسيا الصغرى، فروسيا الجنوبية، فالقسطنطينية، فالسند والهند والصين. ورجع الى مراكش سنة ١٣٤٩.

ولم يلبث ان قام برحلة ثانية الى بلاد الاندلس. فثالثة الى بلاد السودان فزار تنبكتو، وتكدّا، وهكار.

ثم عاد الى فاس فاكرمه سلطانها، وامره ان يملي رحلته على احد كتّابه محمد بن جُزَيّ. فقام بذلك وسمّى الكتاب «تحفة النظّار، في غرائب الامصار، وعجائب الاسفار».

وتوفي ابن بطوطة سنة ١٣٧٧. ولا شكّ في ان قيمته كبيرة جدًّا بسبب سعة البلدان التي جال فيها، والمعلومات العديدة التي ذكرها عن مختلف الشعوب. وقد اطلنا البحث في حياته، وصدقه، وامانته في مقدّمة الجزء الاول من الرحلة، فلتراجع.

وتركناه في الجزء الثاني في آسيا الصغرى، بعد ان زار مراكش، وتونس، والجزائر، والقطر المصري، وفلسطين، ولبنان، وسوريا، والحجاز، والعراق، وفارس، وديار بكر، وافريقيا الشرقية، واليمن، وعُمان، وهُرمُز، واللار، والبحرين، والاناضول، والقريم، وروسيا الجنوبية. وها هو يتكلّم الان عن مدينة استرخان:

تحفة النظار

في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الرحلة الاولى

تابع

٣

ورجع الى محلة السلطان في بشدغ[1] في آخر رمضان، فحضر العيد. ثم سافر مع حاشية السلطان الى

مدينة الحاج ترخان (١ — خر اتل

وهي من احسن المدن، عظيمة الاسواق مبنية على نهر إتل[2]، وهو من انهار الدنيا الكبار. وهنالك يقيم السلطان حتى يشتدّ البرد، ويجمد هذا النهر، وتجمد المياه المتصلة به. ثم يأمر اهل تلك البلاد، فيأتون بالآلاف من احمال التبن، فيجعلونها على الجليد المنعقد فوق النهر — والتبن هنالك لا تأكله الدواب لانه يضرّها، وكذلك ببلاد الهند، وانما اكلها الحشيش الاخضر لخصب البلاد — ويسافرون بالعربات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به، ثلاث مراحل. وربما جازت القوافل فوقه، مع آخر فصل الشتاء، فيغرقون ويهلكون...

١) وتسمى استراخان. — ٢) هو نهر ڤولغا

الفصل الحادي عشر

القسطنطينية

ورغبت الخاتون بيلون ، ابنة ملك الروم الى السلطان السفر الى القسطنطينية فاذن لها وصحبها ابن بطوطة في حاشية عديدة ، فتوجهوا الى مدينة أكك ، فجبال الروس « وهم نصارى شقر الشعور ، زرق العيون ، قباح الصور ، اهل غدر ؛ وعندهم معادن الفضّة » فمدينة سرداق (سوداق) ، فبابا سلطوق ، فحصن مهتولي « وهو اول عمالة الروم » ، فحصن مسلمة بن عبد الملك ، فمدينة الفَنيكة

القسطنطينية

وكان دخولنا عند الزوال او بعده الى القسطنطينية العظمى . وقد ضربوا نواقيسهم حتى ارتجت الآفاق لاختلاط اصواتها . ولما وصلنا الباب الاول من ابواب قصر الملك ، وجدنا به نحو مائة رجل معهم قائد لهم فوق دكّانة ، وسمعتهم يقولون : « سراكِنو ، سركِنو ا » ومعناها : « المسلمون » . ومنعونا من الدخول . فقال لهم اصحاب الخاتون : « انهم من جهتنا » . فقالوا : « لا يدخلون الا بالاذن » . فاقمنا بالباب وذهب بعض اصحاب الخاتون ، فبعث من اعلمها بذلك ، وهي بين يدي والدها . فذكرت له شأننا فامر بدخولنا ، وعيّن لنا داراً بقربة من دار الخاتون ، وكتب لنا امراً بان لا نُعترَض حيث نذهب من المدينة ، ونودي بذلك في الاسواق . واقمنا بالدار ثلاثاً تُبعث الينا الضيافة من الدقيق والخبز والغنم والدجاج

والسمن والفاكهة والحوت والدراهم والفرس . وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان .

ذكر المدينة

وهي متناهية في الكِبَر ، منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم فيه المدّ والجزر ، على شكل وادي سلا من بلاد المغرب . وكانت عليه فيما تقدّم قنطرة مبنية ، فخربت ؛ وهو الان يُعبر في القوارب . واسم هذا النهر أبسُمي .

واحد القسمين من المدينة يسمّى « أصْطَنبُول » وهو بالعدوة الشرقية من النهر ، وفيه سكنى السلطان وارباب دولته ، وسائر الناس . واسواقه ، وشوارعه ، مفروشة بالصفّاح ، متّسعة . واهل كل صناعة على حِدَة فلا يشاركهم سواهم ، وعلى كل سوق ، ابواب تُسدّ عليه بالليل . واكثر الصناع والباعة بها النساء . والمدينة في سفح جبل داخل في البحر نحو تسعة اميال وعرضه مثل ذلك او اكبر ؛ وفي اعلاه قلعة صغيرة ، وقصر السلطان . والسور يحيط بهذا الجبل ، وهو مانع لا سبيل لاحد اليه من جهة البحر . وفيه نحو ثلاث عشرة قرية عامرة . والكنيسة العظيمة هي في وسط هذا القسم من المدينة .

واما القسم الثاني منها فيسمّى « الغَلَطة » ، وهو بالعدوة الغربية من النهر شبيه برباط الفتح (١ في قربه من النهر . وهذا القسم خاصّ بنصارى الافرنج يسكنونه ، وهم اصناف : فمنهم الجنويّون ، والبنادقة ، واهل

١) رباط الفتح : مدينة في مراكش

رومة ، واهل افرنسة . وحكمهم الى ملك القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه ، ويسمّونه « القُمِص »(١ . وعليهم وظيفة لملك القسطنطينية . وربما استعصوا عليه ، فيحاربهم حتى يصلح بينهم البابة . وجميعهم اهل تجارة ، ومرساهم من اعظم المراسي رأيت به نحو مائة جفن من القراقر(٢ ، وسواها من الكبار . واما الصغار فلا تحصى كثرة . واسواق هذا القسم حسنة الا ان الاقذار غالبة عليها .

ذكر الكنيسة العظمى

وانما نذكر خارجها ، واما داخلها فلم اشاهده . وهي تسمّى عندهم « ايا صوفيا » . ويُذكر انها من بناء آصف بن بَرَخياد ، وهو ابن خالة سليمان (عم) . وهي من اعظم كنائس الروم ، وعليها سور يطيف بها فكأنها مدينة . وابوابها ثلاثة عشر باباً ، ولها حرم هو نحو ميل عليه باب كبير . ولا يُمنع احد من دخوله ، وقد دخلته مع والد الملك ، الذي يقع ذكره ؛ وهو شبه مِشوَر مسطّح بالرخام ، وتشقّه ساقية تخرج من الكنيسة ، لها حائطان مرتفعان نحو ذراع ، مصنوعان بالرخام المجزّع ، المنقوش باحسن صنعة . والاشجار منتظمة عن جهتي الساقية . ومن باب الكنيسة الى باب هذا المشوَر معرّش من الخشب ، مرتفع ، عليه دوالي العنب ، وفي اسفله الياسمين والرياحين . وخارج باب هذا المشور قبة خشب كبيرة ، فيها طبلات

١) القُمِص : تصحيف « كومِس » اللاتينية ، ومنها لفظة الكونت

٢) القراقر : المراكب الكبيرة

خشب ، يجلس عليها خدّام ذلك الباب . وعن يمين القبة مصاطب وحوانيت ، اكثرها من الخشب ، يجلس بها قضاتهم ، وكتّاب دواوينهم . وفي وسط تلك الحوانيت قبة خشب يصعد اليها على درج خشب ، وفيها كرسي خشب مطبق بالملّف ، يجلس فوقه قاضيهم . وعن يسار القبة التي على باب هذا المشوَر سوق العطّارين . والساقية التي ذكرناها تنقسم قسمين : احدهما يمرّ بسوق العطّارين ، والآخر يمرّ بالسوق ، حيث القضاة والكتّاب .

وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدّامها ، الذين يقمّون(١ طرقها ، ويوقدون سرجها ، ويغلقون ابوابها . ولا يدعون احداً يدخلها حتى يسجد للصليب الاعظم عندهم ، الذي يزعمون انه بقية من الخشبة التي صُلب عليها شبيه عيسى (٢ (عم) ، وهو على باب الكنيسة مجعول في جعبة ذهب ، طولها نحو عشرة اذرع ؛ وقد عرّضوا عليها جعبة ذهب مثلها حتى صارت صليباً . وهذا الباب مصفّح بصفائح الفضة والذهب . وحلقتاه من الذهب الخالص .

وذُكر لي ان عدد من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسّيسين ينتهي الى آلاف ، وان بعضهم من ذرّية الحواريّين . وان بداخلها كنيسة مختصّة بالنساء فيها ، من الابكار المنقطعات للعبادة ، ازيد من الف . واما القواعد(٣ من النساء فاكثر من ذلك كلّه .

ومن عادة الملك ، وارباب دولته ، وسائر الناس ، ان يأتوا كل يوم

١) يقمّون : : يكنسون ، وينظفون

٢) شبيه عيسى : لان الاسلام يعتقدون ان المصلوب غير المسيح ، وهو رجل يشبهه استبدله به الله

٣) القواعد : النساء المسنّات من الارامل

صباحاً الى زيارة هـذه الكنيسة . ويأتي اليها البابة مرّة في السنة . واذا كان على مسيرة اربع من البلد ، يخرج الملك الى لقائه ويترجّل له . وعند دخوله المدينة ، يمشي بين يديه ، على قدميه ؛ ويأتيه صباحاً ومساءً ، للسلام عليه ، طول مقامه بالقسطنطينية حتى ينصرف .

ثم يذكر « المانستارات » وهي تصحيف « مونا ستير » اي دير ، وما فيها من الرهبان والراهبات ، وعاداتهم

ذكر الملك المترهّب جرجيس

وهـذا الملك ولّى الملك لابنه ، وانقطع للعبادة ، وبنى مـانستاراً خارج المدينة على ساحلها . وكنت يوماً مع الرومي ، المعيّن لركوب معي ، فـاذا بهذا الملك ماشياً على قدميه ، وعليه المسرح ، وعلى رأسه قلنسوة لبد ، وله لحية بيضاء طويلة ، ووجه حسن عليه اثر العبادة . وخلفه وامامه جماعة من الرهبان . وبيده عكاز ، وفي عنقه سُبحة . فلما رآه الرومي نزل ، وقال لي : « انزل ، فهذا والد الملك » . فلما سلّم عليه الرومي ، سأله عني . ثم وقف ، وبعث عني (١) ، فجئت اليه . فاخذ بيدي ، وقـال لذلك الرومي ، وكان يعرف اللسان العربي : « قل لهذا السراكنو (يعني المسلم) انا أُصافح اليـد ، التي دخلت بيت المقدس ، والرجـل التي مشت داخل الصخرة ، والكنيسة العظمى التي تسمّى قيامة ، وبيت لحم » . وجعل يده على قدمي ، ومسح بها وجهه . فعجبت من اعتقادهم فيمن دخل تلك المواضع من غير ملّتهم . ثم اخـذ بيدي ، ومشيت معه . فسألني عن بيت المقدس ، ومن فيه من النصارى واطـال السؤال . ودخلت معـه الى حرم الكنيسة ، الذي

١) بعث عني : يستعمل ابن بطوطة هذا التعبير بمعنى : ارسل في طلبي . ولم يعهد تعدية « بعث » بعن

وصفناه آنفاً . ولمـا قارب الباب الاعظم ، خرجت جماعـة من القسّيسين والرهبان للسلام عليه ، وهو من كبارهم في الرهبانية . ولما رآهم ، ارسل يدي ، فقلت له : « أريد الدخول معك الى الكنيسة » فقال للترجمان : قل له : « لا بدّ لداخلها من السجود للصليب الاعظم . فان هذا مما سنّته الاوائل ، ولا يمكن خلافه » . فتركته ودخل وحده ، ولم ارَه بعدها .

ثم يذكر قـاضي القسطنطينية ، وينصرف عن هـذه المدينة راجعاً الى السرا ، عاصمة السلطان اوزبك ، بعد ان تصله الخاتون صلةً حسنة

الفصل الثاني عشر

خوارزم — خراسان — افغانستان

ترك ابن بطوطة مدينة السرا قاصداً بلاد خوارزم ، ثمّ بمدينة سراجوق ، ثم سار « ثلاثين يومـاً سيرًا جادًّا » الى ان وصل مدينة خوارزم « وهي اكبر مدن الاتراك ، واعظمها ، واجملها ، واضخمها » فـذكر اميرها وامرأته ، وقـاضيها ، وبطيخها

ذكر بطيخ خوارزم

وبطيخ خوارزم لا نظير له في الدنيـا ، شرقاً ولا غرباً ، الا ما كان من بطيخ بُخارى ، ويليه بطيخ اصفهان (١) . وقشره اخضر ، وباطنه احمر ،

١) راجع ذكر بطيخ اصفهان (ص : ٦٠)

وهو صادق الحلاوة، وفيه صلابة. ومن العجائب انه يُقدَّد ويُيبَّس في الشمس، ويحمل في القوافل، كما يُصنع عندنا بالشريحة، وبالتين المالقي. ويحمل من خوارزم الى اقصى بلاد الهند والصين. وليس في جميع الفواكه اليابسة اطيب منه. وكنت ايام اقامتي بدهلي، من بلاد الهند، متى قدم المسافرون، بعثت من يشتري لي منهم قديدَ البطيخ. وكان ملك الهند، اذا أُتي اليه بشيء منه، بعث اليَّ به، لما يعلم من محبَّتي فيه. ومن عادته انه يُطرف الغرباء بفواكه بلاده، ويتفقَّدهم بذلك.

وسار من خوارزم الى بُخارى ثمانية عشر يوماً في برّية لا عمارة بها الا مدينة ألْكات. فوصل الى بُخارى وكانت خراباً الا القليل. وهنا ذكر توتي التتر عليها مبتدئاً بتنكيزخان (اوجنكيزخان). ثم ذكر سلطان ما وراء النهر واسمه طَرْمَشيرين فاقام عنده ابن بطوطة ٥٤ يوماً، وبعد ان اعطاه السلطان ٧٠٠ دينار دراهم «وفروة سمّور تساوي مائة دينار» وفرسين، وجملين انصرف قاصداً

سَمَرْقَنْد

وهي من اكبر المدن، واحسنها، واتمها جمالاً، مبنية على شاطئ وادٍ، يُعرف «بوادي القصّارين» عليه النواعير تسقي البساتين، وعنده يجتمع اهل البلد، بعد صلاة العصر، للنزهة والتفرُّج. ولهم عليه مساطب، ومجالس يقعدون عليها، ودكاكين تُباع فيها الفاكهة، وسائر المأكولات. وكانت على شاطئه قصور عظيمة، وعمارة تُنبئ عن علوّ همم اهلها، فدَثَر اكثر ذلك، وكذلك المدينة، خرب كثير منها؛ ولا سور لها ولا ابواب عليها، وفي داخلها البساتين.

واهل سمرقند لهم مكارم اخلاق، ومحبة في الغريب، وهم خير من اهل بُخارى...

ترمذ

ثم وصلنا الى مدينة ترمذ، التي يُنسب اليها الامام ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (١ مؤلف «الجامع» الكبير في السنن. وهي مدينة كبيرة، حسنة العمارة والاسواق، تخترقها الانهار. وبها البساتين الكثيرة، والعنب، والسفرجل بها كثير متناهي الطيب. واللحوم بها كثيرة، وكذلك الالبان. واهلها يغسلون رؤوسهم، في الحمّام، باللبن عوضاً عن الطِفل (٢ ويكون عند كل صاحب حمّام اوعية كبار، مملوءة لبناً. فاذا دخل الرجل الحمّام، اخذ منها في اناء صغير، ففسل رأسه، وهو يرطب شعره ويصقله. واهل الهند يجمعون في رؤوسهم، زيت السمسم ويسمّونه «السيراج»، ويغسلون الشعر بعده بالطفل، فينعم الجسم، ويصقل الشعر ويطيله، وبذلك طالت لحى اهل الهند ومن سكن معهم.

وكانت مدينة الترمذ القديمة مبنية على شاطئ جيحون، فلما خربها تنكيز، بُنيت هذه الحديثة، على ميلين من النهر...

بلاد خُراسان - بَلْخ

ثم اجزنا نهر جيحون الى بلاد خُراسان. وسرنا بعد انصرافنا من ترمذ، واجازة الوادي، يوماً ونصف يوم في صحراء ورمال لا عمارة بها الى مدينة بلخ.

وهي خاوية على عروشها، غير عامرة؛ ومن رآها ظنّها عامرة، لاتقان

---

١) ابو عيسى الترمذي († ٨٩٢) وُلد في بوش، قرب ترمذ، وفيها مات؛ كان تلميذ البخاري (٨١٠ - ٨٧٠). وقد طبع كتابه «الجامع» المذكور في بولاق

٢) الطفل: نوع من الحوّارى

بنـائها . وكانت ضخمة فسيحة ، ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الان ، ونقوش مبانيها مدخلة باصبغة اللازورد ، والناس ينسبون اللازورد الى خُراسان ، وانما يُجلب من جبال بَدَخشان ، التي يُنسب اليها الياقوت البدَخشي ، والعامّة يقولون : البلَخش .

وخرب هذه المدينة تنكيز اللعين ، وهدم من مسجدها نحو الثلث ، بسبب كنز ذُكر له انه تحت ساريـة من سواريه . وهو من احسن مساجد الدنيا ، وافسحها . ومسجد رباط الفتح ، بالمغرب ، يشبهه في عظم سواريه . ومسجد بلخ اجمل منه في سوى ذلك .

وسار من هناك في جبال قوه استان ، الى مدينة هراة ، فمدينة الجام

طوس — مشهد الرضى

ثم سافرنا من الجـام الى مدينة طوس ، وهي اكبر بـلاد خُراسان واعظمها ، بلد الامام الشهير ابي حامد الغزالي (١ (رضه) وبها قبره .

ورحلنا منها الى مدينة مشهد الرضى ، وهو علي بن موسى الكاظم ، ابن جعفر الصادق ، بن محمد البـاقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين الشهيد ، بن امـير المؤمنين علي بن ابي طالب ، رضي الله عنهم . وهي ايضاً مدينة كبيرة ضخمة كثيرة الفواكه ، والمياه ، والارحاء الطاحنة .

قبر الرضى وقبر هارون الرشيد

والمشهد المكرَّم عليه قبـة عظيمة ، في داخل زاوية ، وتجـاورها

١) الغزالي هو من اعظم فلاسفة الاسلام في المشرق . ولد في طوس سنة ١٠٥٩ وتوفي في نيسابور ، في ١٩ كانون الاول ١١١١ تاركاً عدّة تآليف في الفلسفة والدين اشهرها : «احياء علوم الدين» ، و«ايها الولد» ، و«تهافت الفـلاسفة» وكلها نفيسة جعلت لصاحبها لقب «حجة الدين»

مدرسة ومسجد ، وجميعها مليح البناء ، مصنوع الحيطان بالقاشاني . وعلى القبر دكّانة خشب ، ملبَّسة بصفائح الفضة ، وعليه قناديل فضة معلّقة . وعتبة باب القبـة فضة ، وعلى بابها ستر حرير مذهب ، وهي مبسوطة بانواع البُسُط .

وازاء هـذا القبر ، قبر هارون الرشيد ، امير المؤمنين (رضه) وعليه دكّانة يضعون عليها الشمعدانات ، التي يعرفها اهل المغرب ، بالحسك ، والمناثر .

واذا دخل الرافضي للزيارة ، ضرب قبر الرشيد برجله ، وسلّم على الرضى .

ورحل من هنـاك الى سَرَخس ، فنيسابور ، فبسطام ، فقندوس وبُغـلان ، فجبل هندوكوش ، «ومعناه قاتل الهنود ، لان العبيد والجواري الذين يؤتى بهم من بـلاد الهند ، يموت هناك الكثير منهم ، لشدّة البرد وكثرة الثلج » ، فبنج هير ، فبَرْوَن ، فالجرخ

بلاد افغانستان وكابول

مدينة غزنة

ثم سافرنا الى مدينـة غزنة ، وهي بلد السلطان المجاهد محمود بن سَبكتكين الشهير الاسم ، وكان من كبار السلاطين ، يلقَّب «يمين الدولة» . وكان كثير الغزو الى بلاد الهند ، وفتح بها المدائن والحصون . وقبره بهذه المدينة عليه زاوية . وقد خرب معظم هذه البلدة ولم يبقَ منها الا يسير ، وكانت كبيرة . وهي شديدة البرد ، والساكنون بها يخرجون عنها ايام البرد ، الى مدينة القندهار ، وهي كبيرة مخصبة ، ولم ادخلها ؛ وبينهما مسيرة ثلاث .

كابُل-الافغان

ثم سافرنا الى كابل، وكانت، فيما سلف، مدينة عظيمة. وبها الان قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم: «الأفغان». ولهم جبال وشعاب وشوكة قويّة، واكثرهم قطّاع الطريق.

الفصل الثالث عشر

السند — الهند

وترك كابُل فنزل ششنغار، «وهي آخر العمارة مما يلي بلاد الترك»

في الصحراء

ومن هنالك دخلنا البرية الكبرى، وهي مسيرة خمس عشرة، لا تُدخل الا في فصل واحد، وهو بعد نزول المطر بارض السند والهند. وذلك في اوائل شهر يولية، وتهبّ في هذه البرّية، ريح السموم القاتلة التي تعفّن الجسوم حتى ان الرجل، اذا مات، تتفسّخ اعضاؤه... وكانت تقدّمت امامنا رفقة كبيرة فيها خذاوند زاده قاضي ترمذ، فات لهم جمال وخيل كثيرة. ووصلت رفقتنا سالمة، بحمد الله تعالى، الى بنج آب وهو ماء السند. وكان وصولنا الى هذا النهر، سلخ ذي الحجة، واستهلّ علينا تلك الليلة هلال المحرّم من عام اربعة وثلاثين وسبعمائة (١. ومن

١) الموافق ١٢ ايلول ١٣٣٣

هنالك كتب المخبرون يخبرنا الى ارض الهند، وعرّفوا ملكها بكيفية احوالنا.

وها هنا ينتهي بنا الكلام في هذا السفر، والحمد لله رب العالمين.

وهذا ختام الجزء الاول من الرحلة، يبدء الجزء الثاني بذكر نهر السند بنج آب، «وهو اول عمالة السلطان المعظم محمد شاه، ملك الهند والسند». ومن هناك اتجه الرحالة نحو مُلتان ودهلي

ذكر الكركدّن

ولما اجزنا نهر السند المعروف ببنج آب، دخلنا غيضة قصب لسلوك الطريق، لانه في وسطها. فخرج علينا الكركدّن، وصورته: انه حيوان، اسود اللون، عظيم الجرم، رأسه كبير متفاوت الضخامة. ولذلك يُضرب به المثل فيقال: «الكركدّن، رأس بلا بدن!» وهو دون الفيل، ورأسه اكبر من رأس الفيل باضعاف، وله قرن واحد بين عينيه طوله نحو ثلاثة اذرع، وعرضه نحو شبر. ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان في طريقه، فضرب الفرس الذي كان تحته، بقرنه، فانفذ فخذه وصرعه. وعاد الى الغيضة، فلم نقدر عليه. وقد رأيت الكركدّن مرّة ثانية، في هذا الطريق، بعد صلاة العصر، وهو يرعى نبات الارض. فلما قصدناه هرب منا. ورأيته مرّة أخرى، ونحن مع ملك الهند، دخلنا غيضة قصب، وركب السلطان على الفيل، وركبنا معه الفيلة. ودخلت الرجالة والفرسان، فاثاروه وقتلوه، واستاقوا رأسه الى المحلّة.

وسار الى مدينة جناني وفيها طائفة السامرة

السامرة

لا يأكلون مع احد، ولا ينظر اليهم احد حين يأكلون. ولا يصاهرون احداً من غيرهم، ولا يصاهر اليهم احد.

سيوستان

وهي مدينة كبيرة، وخارجها صحراء ورمال، لا شجر بها الّا شجر ام غيلان. ولا يزدرع على نهرها شيء ما عدا البطيخ. وطعامهم الذرة والجلبان، ويسمونه «السُّشنك»، ومنه يصنعون الخبز. وهي كثيرة السمك، والالبان الجاموسية. واهلها يأكلون السقنقور، وهي دويبة شبيهة بام جُبين (١ التي يسميها المغاربة «حُنَيشة الجنّة» الا انها لا ذنب لها. ورأيتهم يحفرون الرمل، ويستخرجونها منه، ويشقون بطنها ويرمون بما فيه، ويحشونه بالكُركُم (٢، وهم يسمونه «زرد شوبه» ومعناه: «العدد الاصفر» وهو عندهم عوض الزعفران. ولما رأيت تلك الدويبة وهم يأكلونها، استقذرتها فلم آكلها.

ودخلنا هذه المدينة، في احتدام القيظ، وحرّها شديد. فكان اصحابي يقعدون عريانين، يجعل احدهم فوطة على وسطه، وفوطة على كتفيه، مبلولة بالماء، فما يمضي اليسير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطة، فيبلّها مرّة أخرى هكذا ابداً.

---

١) اي الحرباء.

٢) الكُركُم: نوع من النبات ينبت في البلاد الحارّة ويزهر في عناقيد صفراء.

ويسير من هناك في نهر السند (الاندوس) الى مدينة لاهري، «وبها يصب نهر السند في البحر»

ذكر غريبة رأيتها بخارج هذه المدينة

وركبت يوماً مع علاء الملك (امير لاهري) فانتهينا الى بسيط من الارض على مسافة سبعة اميال منها يُعرف «بتارنا» فرأيت هنالك ما لا يحصره العدّ من الحجارة، على مثل صور الآدميين، والبهائم. وقد تغيّر كثير منها ودثرت اشكاله، فيبقى منه صورة رأس، او رجل، او سواهما. ومن الحجارة ايضاً على صور الحبوب من البُرّ، والحمص، والفول، والعدس. وهنالك آثار سور، وجدران دور. ثم رأينا رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة. وفي وسطه دكّانة حجارة منحوتة، كأنها حجر واحد، عليها صورة آدمي. الا ان رأسه طويل، وفمه في جانب من وجهه، ويداه خلف ظهره كالمكتوف. وهنالك مياه شديدة النتن، وكتابة، على بعض الجدران، بالهندي. واخبرني علاء الملك ان اهل التاريخ يزعمون ان هذا الموضع كانت فيه مدينة عظيمة، اكثر اهلها الفساد فمُسخوا حجارة؛ وان ملكهم هو الذي على الدكانة، في الدار التي ذكرناها. وهي الى الان تسمّى: «دار الملك»؛ وان الكتابة التي في بعض الحيطان هنالك بالهندي، هي تاريخ هلاك اهل تلك البلاد. وكان ذلك منذ الف سنة او نحوها.

ثم سار الى مدينة بَكّار، فمدينة أُوجه، فمُلْتان، «قاعدة بلاد السند، ومسكن امير امرائه» فذكر امرها قطب الملك وما اهداه اياه. وبعد ان اقام هناك مدّة شهرين سافر متجهاً الى دِهْلي

ذكر اشجار بلاد الهند وفواكهها

العَنَبَة

فمنها العنبة ، وهي شجرة تشبه اشجار النارنج الا انها اعظم اجراماً ، واكثر اوراقاً ، وظلها اكثر الظلال ، غير انه ثقيل ، فمن نام تحته وُعك . وثمرها على قدر الاجاص الكبير . فاذا كان اخضر قبل تمام نضجه ، اخذوا ما سقط منه ، وجعلوا عليه الملح ، وصيّروه كما يصيّر الليم (١ والليمون ببلادنا . وكذلك يصيّرون ايضاً الزنجبيل الاخضر ، وعناقيد الفلفل ، ويأكلون ذلك مع الطعام ، يأخذون بأثر كل لقمة يسيراً من هذه المملوحات . فاذا نضجت العنبة في اوان الخريف ، اصفرّت حبّاتها فأكلوها كالتفاح . فبعضهم يقطعها بالسكين ، وبعضهم يمصّها مصّاً . وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة . ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الاشجار ، كما تزرع نوى النارنج وغيرها .

الشَكي والبَرَكي

ومنها الشكي والبركي ، وهي اشجار عادية ، اوراقها كاوراق الجوز ، وثمرها يخرج من اصل الشجرة . فما اتصل منه بالارض فهو البركي ، وحلاوته اشدّ ، ومطعمه اطيب ، وما كان فوق ذلك ، فهو الشَكي ، وثمره يشبه القرع الكبار ، وجلوده تشبه جلود البقر . فاذا اصفرّ ، في اوان الخريف ، قطعوه ، وشقوه ، فيكون في داخل كل حبة ، المائة والمائتان فما

---

١) اي الليمون الحلو

بين ذلك من حبّات تشبه الخيار ؛ بين كل حبّة وحبّة صفاق اصفر اللون . ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير ، واذا شويت تلك النواة او طبخت ، يكون طعمها كطعم الفول ، اذ ليس يوجد هنالك . ويدّخرون هذه النوى في التراب الاحمر فتبقى الى سنة أُخرى . وهذا الشكي والبركي هو خير فاكهة ببلاد الهند .

التَندُو

ومنها التندو ، وهو ثمر شجر الابنوس ، وحبّاته في قدر حبّات المشمش ولونها ، شديد الحلاوة .

الجُمون

ومنها الجمون ، واشجاره عادية ، ويشبه ثمره الزيتون ، وهو اسود اللون ، ونواه واحدة كالزيتون .

النارنج الحلو

ومنها النارنج الحلو ، وهو عندهم كثير . واما النارنج الحامض فعزيز الوجود . ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض ، وثمره على قدر الليم ، وهو طيب جدّاً ، وكنت يعجبني اكله .

المَهوَا

ومنها المهوا ، واشجاره عاديّة ، واوراقه كاوراق الجوز ، الا ان فيها حمرة وصفرة . وثمره مثل الاجاص الصغير ، شديد الحلاوة . وفي اعلى كل حبة منه ، حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوّفة ، وطعمها كطعم العنب . الّا ان الاكثار من اكلها يُحدث في الرأس صداعاً . ومن العجب ان هذه

الحبوب، اذا يبست في الشمس، كان مطعمها كمطعم التين، وكنت آكلها عوضاً من التين اذ لا يوجد ببلاد الهند. وهم يسمّون هذه الحبة « الأنكور » وتفسيره بلسانهم « العنب »، والعنب بارض الهند عزيز جداً، ولا يكون بها الا في مواضع بحضرة دهلي، ببلاد أُخر. ويثمر (المهوا) مرتين في السنة، ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصبحون به.

كسيرا

ومن فواكههم فاكهة يسمّونها « كسيرا »، يحفرون عليها الارض، وهي شديدة الحلاوة، تشبه القسطل (١.

وببلاد الهند من فواكه بلادنا الرمّان، وهو يثمر مرّتين في السنة، ورأيته ببلاد جزائر ذيبة المهل، لا ينقطع له ثمر. وهو يسمّونه « أنار »، واظن ذلك هو الاصل في تسمية الجلنار فان « جل » بالفارسية « الزهر » و « أنار » « الرمان ».

ذكر اهل الهند الذين يحرقون انفسهم بالنار

رأيت الناس يهرعون من عسكرنا، ومعهم بعض اصحابنا، فسألتهم: « ما الخبر؟ » فاخبروا ان كافراً من الهنود مات، وأُججت النار لحرقه، وامرأته تحرق نفسها معه. ولما احترقا، جاء اصحابي واخبروا انها عانقت الميت حتى احترقت معه. وبعد ذلك كنت، في تلك البلاد، ارى المرأة من كفّار الهنود متزينة، راكبة، والناس يتبعونها، من مسلم وكافر،

١) القسطل: الكستنا

والاطبال والابواق بين يديها، ومعها البراهمة، وهم كبراء الهنود. واذا كان ذلك ببلاد السلطان، استأذنوا السلطان في احراقها، فيأذن لهم، فيحرقونها.

ثم اتفق بعد مدّة اني كنت بمدينة، اكثر سكانها الكفار، تُعرف « بأمجري »، واميرها مسلم من سامرة السند، وعلى مقربة منها الكفّار العصاة، فقطعوا الطريق يوماً؛ وخرج الامير المسلم لقتالهم، وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار. ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر. وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات. فاتفقن على احراق انفسهنّ. واحراق المرأة بعد زوجها عندهم امرٌ مندوبٌ اليه(١، غير واجب. لكن من احرقت نفسها، بعد زوجها، احرز اهل بيتها شرفاً بذلك، ونُسبوا الى الوفاء. ومن لم تحرق نفسها، لبست خشن الثياب، واقامت عند اهلها بائسة ممتهنة، لعدم وفائها؛ ولكنها لا تُكره على احراق نفسها.

ولما تعاهدت النسوة الثلاث، اللاتي ذكرناهنّ، على احراق انفسهنّ، اقمن قبل ذلك ثلاثة ايام في غناء وطرب، واكل وشرب، كانهنّ يودّعن الدنيا، ويأتي اليهنّ النساء من كل جهة. وفي صبيحة اليوم الرابع، أُتيَت كل واحدة منهنّ بفرس، فركبته، وهي متزيّنة، متعطّرة، وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها، وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها. والبراهمة يحفّون بها، واقاربها معها، وبين يديها الاطبال والابواق والانفار. وكل انسان من الكفار يقول لها: « ابلغي السلام الى ابي، او اخي، او امي، او صاحبي ». وهي تقول: « نعم ». وتضحك اليهم.

١) مندوب اليه: اي مشار به

وركبت مع اصحابي لارى كيفية صنعهنَّ في الاحتراق، فسرنا معهن نحو ثلاثة اميال، وانتهينا الى موضع مظلم، كثير المياه والاشجار، متكاثف الظلال، وبين اشجاره اربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال، وتزاحمت الاشجار، فلا تتخلّلها الشمس. فكأنَّ ذلك الموضع بقعة من بقع جهنَّم، اعاذنا الله منها.

ولما وصلتُ الى تلك القباب، نزلنَ الى الصهريج وانغمسنَ فيه، وجرَّدنَ ما عليهنَّ من ثياب وحلي، فتصدَّقن به. وأُتيت كل واحدة منهنَّ بثوب قطن خشن، غير مخيط. فربطت بعضه على وسطها، وبعضه على رأسها، وكتفيها. والنيران قد أُضرمت على قرب من ذلك الصهريج، في موضع منخفض، وصُبَّ عليها روغن كنجت، وهو زيت الجلجلان (١)، فزاد في اشتعالها. وهنالك نحو خمسة عشر رجلًا بايديهم حزم من الحطب الرقيق، ومعهم نحو عشرة بايديهم خشب كبار. واهل الاطبال والابواق وقوف ينتظرون مجيءَ المرأة. وقد حجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بايديهم، لئلا يدهشها النظار اليها. فرأيت احداهنَّ، لما وصلت الى تلك الملحفة، نزعتها من ايدي الرجال بعنف، وقالت لهم: «مارا ميترسانى از اطش من ميدانم او اطش است رها كنى مارا» وهي تضحك. ومعنى هذا الكلام: «أبالنار تخوّفونني؟ انا اعلم انها نار محرقة». ثم جمعت يديها على رأسها خدمةً للنار، ورمت بنفسها فيها. وعند ذلك ضربت الاطبال والانفار والابواق، ورمى الرجال ما بايديهم من الحطب عليها، لئلا تتحرَّك.

١) اي زيت السمسم

وارتفعت الاصوات، وكثر الضجيج. ولما رأيت ذلك كدت اسقط عن فرسي، لولا اصحابي تداركوني بالماء، فغسلوا وجهي، وانصرفت.

ثم سافر الى سرستي، ومسعود اباد، وبالم الى ان دخل مدينة دهلي، حضرة ملك الهند

ذكر وصفها

ومدينة دهلي كبيرة الساحة، كثيرة العمارة، وهي الان اربع مدن متجاورات متصلات:

احداها المسماة بهذا الاسم دهلي، وهي القديمة، من بناء الكفّار. وكان افتتاحها سنة اربع وثمانين وخمسمائة (١).

والثانية تسمّى سيري، ودار الخلافة، وهي التي اعطاها السلطان لغياث الدين، حفيد الخليفة المستنصر العبّاسي، لما قدم عليه. وبها كان سكنى السلطان علاء الدين، وابنه قطب الدين.

والثالثة تُسمّى تُغلُق أباد باسم بانيها، السلطان تُغلُق، والد سلطان الهند الذي قدمنا عليه. وكان سبب بنائه لها انه وقف يوماً بين يدي السلطان قطب الدين فقال له: «يا خوند عالَم، كان ينبغي ان تبني هنا مدينة!» فقال له السلطان متهكماً: «اذا كنت سلطاناً، فابنِها» فكان، من قدر الله، أن كان سلطاناً، فبناها وسمّاها باسمه.

والرابعة تسمّى جِهان پناه، وهي مختصة بسكنى السلطان محمد شاه، ملك الهند الان، الذي قدمنا عليه. وهو الذي بناها. وكان اراد

١) الموافقة: ١١٨٨ م

ان يضمّ هـذه المدن الاربع تحت سور واحد، فبنى منه بعضاً وترك بناء باقيه، لعظم ما يلزم في بنائه.

ويلي ذلك بحث مستفيض في سور دهلي، وابوابها، وجامعها، وفيه «الصومعة التي لا نظير لها في بلاد الاسلام» وعمرها واسع «بحيث تصعد فيه الفيلة». ويذكر حوضي المدينة، وبعض مزاراتها، وبعض علمائها وصلحائها. ثم يتكلم عن فتح دهلي سنة ٥٨٤ هـ. (١١٨٨) وعمن تداولها من الامراء، الى ان يذكر السلطان شمس الدين لَلْمش، وابنه السلطان ركن الدين، واخت هذا السلطان رضية، فاخاها السلطان ناصر الدين، فالسلطان غياث الدين بَلَبن، وحكايته الغريبة في وصوله الى الملك:

حكايته الغريبة

يُذكر ان احد الفقراء ببخارى رأى بها بلَبن هذا، وكان قصيراً، حقيراً ذميماً. فقال له: «يا تركك»(١ وهي لفظة تُعرب عن الاحتقار. فقال له: «لبيك يا خوند»(٢ فاعجبه كلامه، فقال له: «اشترِ لي من هـذا الرمان». واشار الى رمان يُباع بالسوق، فقال: «نعم» واخرج فُليسات لم يكن عنده سواها، واشترى له من ذلك الرمان. فلما اخذها الفقير قال له: «وهبناك مُلك الهند!» فقبل بلَبن يدَ نفسه وقال: «قبلت، ورضيت». واستقرّ ذلك في ضميره.

واتفق ان بعث السلطان شمس الدين لَلِمش تاجراً يشتري له المماليك بسمرقند، وبُخارى، وترمذ. فاشترى مائة مملوك كان من جملتهم بَلَبن.

١) ومعناها: ايها التركي الصغير
٢) ومعناها: لبيك يا سيدي

فلما دخل بالمماليك على السلطان، اعجبه جميعهم الا بَلَبن لما ذكرناه من دمامته، فقال: «لا اقبل هذا». فقال له بلَبن: «يا خوند عالم، لمن اشتريت هؤلاء المماليك؟» فضحك منه وقال له: «اشتريتهم لنفسي» فقال له: «اشتريني انا لله عزّ وجل». فقال: «نعم». وقبله، وجعله في جملة المماليك فاحتقر شأنه، وجُعل في السقّائين.

وكان اهل المعرفة بعلم النجوم يقولون للسلطان شمس الدين: «ان احد مماليكك يأخذ الملك من يد ابنك، ويستولي عليه». ولا يزالون يُلقون ذلك، وهو لا يلتفت الى اقوالهم، لصلاحه وعدله. الى ان ذكروا ذلك للخاتون الكبرى، ام اولاده. فذكرت له ذلك، واثّر في نفسه، وبعث عن المنجّمين، فقال: «اتعرفون المملوك الذي يأخذ ملك ابني اذا رأيتموه؟» فقالوا له: «نعم عندنا علامة نعرفه بها». فامر السلطان بعرض مماليكه، وجلس لذلك. فعُرضوا بين يديه، طبقةً طبقة، والمنجّمون ينظرون اليهم، ويقولون: «لم نره بعد»

وحان وقت الزوال فقال السقّاؤون، بعضهم لبعض: «انا قد جعنا، فلنجمع شيئاً من الدراهم، ونبعث احدنا الى السوق ليشتري لنا ما نأكله. فجمعوا الدراهم، وبعثوا بها بلَبن، اذ لم يكن فيهم احقر منهم. فلم يجد بالسوق ما ارادوه، فتوجّه الى سوقٍ اخرى، وابطأ. وجاءت نوبة السقّائين في العرض، وهو لم يأتِ بعد. فأخذوا زقّه وماعونه، وجعلوهما على كاهل صبي، وعرضوه على انه بلَبن. فلما نودي باسمه جاز الصبي بين ايديهم. وانقضى العرض، ولم يرَ المنجّمون الصورة التي تطلّبوها. وجاء بلَبن، بعد تمام العرض، لما اراد الله من انفاذ قضائه.

ثم انه ظهرت نجابته ، فجعل امير السقّائين . ثم صار من جملة الاجناد . ثم من الامراء . ثم تزوّج السلطان ناصر الدين بنته ، قبل ان يلي الملك . فلما ولي الملك ، جعله نائباً عنه مدّة عشرين سنة . ثم قتله بلَبن واستولى على ملكه ، عشرين سنة اخرى .

ثم ذكر حفيد بَلَبن السلطان معزّ الدين ، فالسلطان جلال الدين ، فالسلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي ، فابنه السلطان شهاب الدين ، فاخاه السلطان قطب الدين ، فالسلطان خسرو خان ناصر الدين ، فالسلطان غياث الدين تُغلق شاه ، الى ان يوصل الى

ذكر السلطان ابي المجاهد محمد شاه بن السلطان غياث الدين تُغلق شاه ، ملك الهند والسند ، الذي قدمنا عليه

وهذا الملك احب الناس في اسداء العطايا ، واراقة الدماء . فلا يخلو بابه عن فقير يُغنى ، او حيّ يُقتل . وقد شُهرت في الناس حكايته ، في الكرم والشجاعة ، وحكايته في الفتك والبطش بذوي الجنايات . وهو اشدّ الناس مع ذلك تواضعاً واكثرهم اظهاراً للعدل والحق ، وشعائر الدين عنده محفوظة ، وله اشتداد في امر الصلاة والعقوبة على تركها . وهو من الملوك الذين اطّردت سعادتهم ، وخرَق المعتادين نقيبتهم . ولكن الاغلب عليه الكرم .

ثم ذكر من اخباره العجائب والغرائب مبتدياً بالكلام عن مشوره ، فترتيب جلوسه للناس ، فدخول الغرباء واصحاب الهدايا اليه ، فدخول هدايا عماله ، فخروجه للعيدين ، وجلوسه يوم العيد ، وذكر ترتيبه اذا قدم من سفره « فينصب الرّعادات

الصفار على الفيلة ترمي بالدنانير والدراهم على الناس فيلتقطونها ، من حين دخوله الى المدينة حتى وصوله الى قصره » الى غير ذلك مما انتقده عليه ابن خلدون (١

ويلي ذلك اخبار هذا السلطان في الجود والكرم ، امثال الحكايات التي ذكرها في كلامه عن ملك شيراز فلتراجع (٢

ويختم بذكر فظائعه وفتكاته

ذكر فتكات هذا السلطان وما نُقم من افعاله

وكان على ما قدّمنا من تواضعه ، وانصافه ، ورفقه بالمساكين ، وكرمه الخارق للعادة ، كثير التجاسر على اراقة الدماء ، لا يخلو بابه عن مقتول ، الا في النادر . وكنت كثيراً ما ارى الناس يُقتلون على بابه ، ويُطرحون هنالك . ولقد جئت يوماً ، فنفر بي الفرس ، ونظرت الى قطعة بيضاء في الارض فقلت : « ما هذه ؟ » فقال بعض اصحابي : « هي صدر رجل قُطع ثلاث قطع » . وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة ، ولا يحترم احداً من اهل العلم والصلاح والشرف . وفي كل يوم ، يرد على المشور من المسلسلين ، والمغلولين ، والمقيدين ، مئون . فمن كان للقتل قُتل ، او للعذاب عُذّب ، او للضرب ضُرب . وعادته ان يوتى كل يوم بجميع من في سجنه من الناس الى المشور ، ما عدا يوم الجمعة ، فانهم لا يخرَجون فيه ، وهو يوم راحتهم يتنظّفون فيه ويستريحون ، اعاذنا الله من البلاء .

---

١) راجع المقدمة (ص : ك)

٢) راجع (ص : ٦٣ و ٦٤)

ذكر قتله لاخيه

وكان له اخ اسمه مسعود خان، وامه بنت السلطان علاء الدين. وكان من اجمل صورة رأيتها في الدنيا. فاتهمه بالقيام عليه، وسأله عن ذلك، فاقرّ خوفاً من العذاب. فانه من انكر ما يدّعيه عليه السلطان من مثل ذلك، يعذّب. فيرى الناس ان القتل اهون عليهم من العذاب. فامر به فضُربت عنقه في وسط السوق، وبقي مطروحاً هنالك ثلاثة ايام على عادتهم.

ذكر تخريبة لدِهلي، ونفي اهلها، وقتل الاعمى والمُقعَد

ومن اعظم ما كان يُنقم على السلطان، اجلاؤه لاهل دِهلي عنها. وسبب ذلك انهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبّه، ويختمون عليها، ويكتبون عليها: «وحقّ راس خوند عالم، ما يقرأه غيره» ويرمونه بالمشور ليلاً. فاذا فضّها وجد فيها شتمه وسبّه. فعزم على تخريب دِهلي واشترى من اهلها جميعاً دورهم ومنازلهم، ودفع لهم ثمنها، وامرهم بالانتقال عنها الى دولة أباد. فابوا ذلك. فنادى مناديه ان لا يبقى بها احد بعد ثلاث.

فانتقل معظمهم، واختفى بعضهم في الدور. فامر بالبحث عمّن بقي بها، فوجد عبيدُه بازقتها، رجلين: احدهما مُقعَد، والآخر اعمى. فاتوا بهما. فامر بالمُقعَد، فرُمي به في المنجنيق؛ وامر ان يُجرّ الاعمى من

دِهلي الى دولة أباد مسيرة اربعين يوماً. فتمزّق في الطريق، ووصل منه رِجلُه. ولما فعل ذلك خرج اهلها جميعاً وتركوا اثقالهم وامتعتهم. وبقيت المدينة خاوية على عروشها.

فحدثني من اثق به قال: «صعد السلطان ليلةً الى سطح قصره فنظر الى دِهلي، وليس بها نار، ولا دخان، ولا سراج، فقال: «الآن طاب قلبي! وتهدّن خاطري!» ثم كتب الى اهل البلاد ان ينتقلوا الى دِهلي ليعمّروها. فخربت بلادهم، ولم تعمر دهلي لاتساعها وضخامتها، وهي اعظم مدن الدنيا». وكذلك وجدناها لما دخلنا اليها، خالية ليس بها الاّ قليل عمارة.

ذكر الغلاء الواقع بارض الهند

وفي مدة مغيب السلطان عن حضرته، اذ خرج بقصد بلاد المَعبَر، وقع الغلاء، واشتدّ الامر، وانتهى المنّ الى ستين درهماً ثم زاد على ذلك، وضاقت الاحوال وعظم الخطب. ولقد خرجت مرة الى لقاء الوزير، فرأيت ثلاث نسوة، يقطعن قطعاً من جلد فرس مات منذ اشهر، ويأكلنه. وكانت الجلود تُطبخ وتُباع في الاسواق. وكان الناس، اذا ذُبحت البقر، اخذوا دماءها، فاكلوها. وحدثني بعض طلبة خراسان، انهم دخلوا بلدةً تسمّى إكوهة، بين حانسي وسرستي، فوجدوها خالية، فقصدوا بعض المنازل ليبيتوا به، فوجدوا في بعض بيوته، رجلاً قد اضرم ناراً وبيده رجل آدمي، وهو يشويها في النار ويأكل منها، والعياذ بالله.

ولما اشتدّت الحال، امر السلطان ان يُعطى لجميع اهل دِهلي

نفقة ستة اشهر. فكانت القضاة والكتاب والامراء يطوفون بالازقة والحارات، ويكتبون الناس؛ ويعطون لكل احد نفقة ستة اشهر بحساب رطل ونصف من ارطال المغرب (١ في اليوم لكل واحد. وكنت في تلك المدة، اطعم الناس من الطعام الذي اصنعه بقبرة السلطان قطب الدين. فكان الناس ينتعشون بذلك، والله تعالى ينفع بالقصد فيه

وبعد ذلك يذكر ابن بطوطة حوادث تتعلق به خاصة: من مثل وفوده على السلطان، وزيارته لدار ام السلطان وذكر فضائلها، والمناحة التي حصلت لابنة ابن بطوطة المتوفّاة وهي دون السنة من العمر، واحسان السلطان اليه وتعيينه اياه قاضياً في مدينة دِهلي الى غير ذلك مما يطول شرحه

زهد ابن بطوطة

واذ كان ابن بطوطة في الهند دعاه داعي التزهد فوزّع اموله على الفقراء وانفرد في احدى الزوايا. فارسل السلطان في طلبه

ذكر بعث السلطان عني، وابايتي عن الرجوع الى الخدمة، واجتهادي في العبادة

ولما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا، استدعاني وهو يومئذٍ بسيوستان. فدخلت عليه في زيّ الفقراء، فكلمني احسن كلام، والطفه؛ واراد مني الرجوع الى الخدمة. فأبيت، وطلبت منه الاذن في السفر الى الحجاز. فأذن لي فيه. وانصرفت عنه، ونزلت بزاوية تُعرف بالنسبة الى الملك بَشير، وذلك في اواخر جمادى الثانية سنة اثنتين

(١ اي ما يقارب الكيلوغرام

واربعين (١. فاعتكفت بها شهر رجب، وعشراً من شعبان. وانتهيت الى مواصلة خمسة ايام (٢، وافطرت بعدها على قليل ارز دون إدام. وكنت اقرأ القرآن كل يوم، واتهجّد بما شاء الله. وكنت اذا اكلت الطعام اذاني، فاذا طرحته وجدت الراحة. واقمت كذلك اربعين يوماً.

ثم طلبه السلطان ثانية ليرسله في رحلةٍ الى الصين

الفصل الرابع عشر

على طريق الصين

ترك رحالتنا دِهلي، وقصده بلاد الصين، حاملاً هدية لملكها من السلطان محمد شاه، فمرّ بمدينة بيانة، فمدينة كول حيث قاتل بعض كفار الهنود في نواحي مدينة الجلالي. ثم وقع في الأسر

ذكر محنتي بالاسر، وخلاصي منه؛ وخلاصي من شدة بعده على يد وليّ من اولياء الله تعالى

وفي بعض تلك الايام، ركبت في جماعة من اصحابي، ودخلنا بستاناً نقيل فيه، وذلك فصل القيظ. فسمعنا الصياح، فركبنا ولحقنا كفاراً

١) كانون الاول ١٣٤١

٢) اي مواصلة الصوم

اغاروا على قرية من قرى الجلالي، فأتبعناهم؛ فتفرّقوا وتفرّق اصحابنا في طلبهم. وانفردت في خمسة من اصحابي، فخرج علينا جملة من الفرسان والرجال من غيضة هنالك، ففررنا منهم لكثرتهم. واتبعني نحو عشرة منهم، ثم انقطعوا عني الّا ثلاثة منهم، ولا طريق بين يدي، وتلك الارض كثيرة الحجارة. فنشبت يد فرسي بين الحجارة، فنزلت عنه، واقتلعت يده، وعدت الى ركوبه. والعادة بالهند ان يكون مع الانسان سيفان: احدهما معلّق بالسرج ويسمّى الركابي، والآخر في التركش. فسقط سيفي الركابي، من غمده، وكانت حليته ذهباً، فنزلت فاخذته وتقلّدته، وركبت، وهم في اثري. ثم وصلت الى خندق عظيم، فنزلت ودخلت في جوفه، فكان آخر عهدي بهم.

ثم خرجت الى دارٍ في وسط شعراء (١ ملتفّة، في وسطها طريق. فمشيت عليه، ولا اعرف منتهاه. فبينا انا في ذلك، خرج عليّ نحو اربعين رجلًا من الكفّار، بايديهم القسي، فاحدقوا بي. وخفت ان يرموني رمية رجل واحد ان فررت منهم، وكنت غير متدرّع، فالقيت بنفسي الى الارض واستأسرت. وهم لا يقتلون من فعل ذلك. فاخذوني، وسلبوني جميع ما عليّ، غير جبة وقميص وسروال. ودخلوا بي الى تلك الغابة، فانتهوا بي الى موضع جلوسهم منها، على حوض ماء بين تلك الاشجار، واتوني بخبز ماش، وهو الجلبان، فاكلت منه وشربت من الماء.

وكان معهم مسلمان كلماني بالفارسية، وسألاني عن شأني. فاخبرتهما ببعضه، وكتمتهما اني من جهة السلطان. فقالا لي: «لا بدّ ان يقتلك

١) اي غابة صغيرة

هؤلاء، او غيرهم. ولكن هذا مقدّمهم.» واشارا الى رجل منهم. فكلّمته، بترجمة المسلمَين، وتلطّفت له. فوكل بي ثلاثة منهم: احدهم شيخ، ومعه ابنه، والآخر اسود خبيث. وكلمني اولئك الثلاثة، ففهمت منهم انهم أُمروا بقتلي. فاحتماوني عشي النهار الى كهف. وسلّط الله على الاسود منهم، حمّى مرعدة؛ فوضع رجليه عليّ، ونام الشيخ وابنه. فلما اصبح، تكلّموا فيما بينهم، واشاروا اليّ بالنزول معهم الى الحوض. وفهمت انهم يريدون قتلي. فكلمت الشيخ، وتلطفت اليه، فرقّ لي. وقطعت كمّي قميصي، واعطيته اياهما، لكي لا يأخذه اصحابه فيّ، ان فررت.

ولما كان عند الظهر، سمعنا كلاماً عند الحوض، فظنوا انهم اصحابهم. فاشاروا اليّ بالنزول معهم، فنزلنا ووجدنا قوماً آخرين. فاشاروا عليهم ان يذهبوا في صحبتهم، فابوا. وجلس ثلاثتهم امامي، وانا مُواجه لهم. ووضعوا حبل قنّب كان معهم بالارض. وانا انظر اليهم واقول في نفسي: «بهذا الحبل يربطونني عند القتل.» واقمت كذلك ساعة. ثم جاء ثلاثة من اصحابهم الذين اخذوني، فتكلّموا معهم، وفهمت انهم قالوا لهم: «لايّ شيء ما قتلتموه؟» فاشار الشيخ الى الاسود كانه اعتذر بمرضه. وكان احد هؤلاء الثلاثة شابًّا حسن الوجه، فقال لي: «أتُريد ان اسرّحك؟» فقلت: «نعم» فقال: «اذهب!» فاخذت الجبّة، التي كانت عليّ، فاعطيته اياها. واعطاني مُنَيَّرة (١ بالية عنده. واراني الطريق، فذهبت. وخفت ان يبدو لهم فيدركوني، فدخلت غيضة قصب، واختفيت فيها الى ان غابت الشمس. ثم خرجت وسلكت الطريق التي

١) منيَّرة: رداء ازرق

ارانيها الشاب، فأفضت بي الى ماء، فشربت منه. وسرت الى ثلث الليل، فوصلت الى جبل فنمت تحته. فلما اصبحت، سلكت الطريق، فوصلت ضحىً الى جبل من الصخر عالٍ، فيه شجر ام غيلان والسدر. فكنت اجني النبق فآكله. حتى أثّر الشوك في ذراعي اثاراً هي باقية به حتى الآن

ثم نزلت من ذلك الجبل الى ارض مزدرعة قطناً، وبها اشجار الخَرُوع. وهنالك باين — والباين عندهم بئر متسعة جداً، مطوية بالحجارة، لها درج يُنزل عليها الى ورد الماء، وبعضها يكون في وسطه وجوانبه القباب من الحجر والسقايف والمجالس، ويتفاخر ملوك البلاد وامراؤها بعمارتها في الطرقات التي لا ماء بها — ولما وصلت الى الباين، شربت منه. ووجدت عليه شيئاً من عساليج الخَرْدَل، قد سقطت ممن غسلها، فاكلت منها، وادّخرت باقيها. ونمت تحت شجرة خروع. فبينما انا كذلك اذ ورد الباين نحو اربعين فارساً مدَّرعين، فدخل بعضهم الى المزرعة، ثم ذهبوا. وطمس الله ابصارهم دوني. ثم جاء بعدهم نحو خمسين في السلاح، ونزلوا الى الباين. واتى احدهم الى شجرة ازاء الشجرة التي كنت تحتها، فلم يشعر بي. ودخلت اذ ذاك في مزرعة القطن، واقمت بها بقية نهاري. واقاموا على الباين يغسلون ثيابهم، ويلعبون؛ فلما كان الليل، هدأت اصواتهم. فعلمت انهم قد مرّوا او ناموا. فخرجت حينئذٍ واتبعت اثر الخيل، والليل مقمر، وسرت حتى انتهيت الى باين آخر، عليه قبة، فنزلت اليه، وشربت من مائه، واكلت من عساليج الخردل التي كانت عندي. ودخلت القبة، فوجدتها مملوءة بالعشب، مما يجمعه

الطير، فنمت بها. وكنت احسّ حركة حيوان، في تلك العشب، اظنه حية، فلا ابالي لما بي من الجهد.

فلما اصبحت، سلكت طريقاً واسعة تفضي الى قرية خربة. وسلكت سواها، فكانت كمثلها. واقمت كذلك اياماً، وفي بعضها وصلت الى اشجار ملتفّة، بينها حوض ماء، وداخلها شبه بيت، وعلى جوانب الحوض نبات الارض كالنجيل (١ وغيره. فاردت ان اقعد هنالك، حتى يبعث الله من يوصلني الى العمارة. ثم اني وجدت يسير قوّة، فنهضت على طريق وجدت بها اثر البقر، ووجدت ثوراً عليه بردعة ومنجل؛ فاذا تلك الطريق تفضي الى قرى الكفار. فاتبعت طريقاً اخرى فافضت بي الى قرية خربة، ورأيت بها اسودَين عريانين فخفتهما، واقمت تحت اشجار هنالك. فلما كان الليل دخلت القرية، ووجدت داراً، في بيت من بيوتها شبه خابية كبيرة يصنعونها لاختزان الزرع، وفي اسفلها نَقب يسع منه الرجل. فدخلتها، ووجدت داخلها مفروشاً بالتبن، وفيه حجر جعلت رأسي عليه ونمت. وكان فوقها طائر يرفرف بجناحيه اكثر الليل؛ واظنه كان يخاف، فاجتمعنا خائفَين.

واقمت على تلك الحال سبعة ايام، من يوم أُسرت، وهو يوم السبت. وفي السابع منها، وصلت الى قرية للكفار عامرة، وفيها حوض ماء، ومنابت خضر. فسألتهم الطعام فأبوا ان يعطوني، فوجدت حول بئر بها،

---

١) النجيل: ضرب من الاعشاب، ينبت في الاقاليم الحارّة، ويكون متقابل الورق كثه، قوي الكؤوس، يزهر ازهاراً صفراء وحمراء. ومنه نوع ينبت في بلادنا فيؤكل ورقه، وهو معروف بالبقلة او الفرفحين

اوراق فجعل ، فاكلته . وجئت القرية فوجدت جماعة كفار لهم طليعة ، فدعاني طليعتهم فلم أجبه ، وقعدت الى الارض . فاتى احدهم بسيف مسلول ورفعه ليضربني به ، فلم التفت اليه لعظيم ما بي من الجهد . ففتشني فلم يجد عندي شيئاً ، فاخذ القميص الذي كنت اعطيت كتيبه للشيخ الموكّل بي .

والما كان في اليوم الثامن ، اشتد بي العطش ، وعدمت الماء . ووصلت الى قرية خراب فلم اجد بها حوضاً . وعادتهم ، بتلك القرى ، ان يصنعوا احواضاً يجتمع بها ماء المطر ، فيشربون منه جميع السنة . فاتبعت طريقاً ، فافضت بي الى بئر غير مطويّة ، عليها حبل مصنوع من نبات الارض ، وليس فيه آنية يُستقى بها . فربطت خرقة كانت على رأسي في الحبل ، وامتصصت ما تعلّق بها من الماء ، فلم يروني . فربطت خفي واستقيت به ، فلم يروني . فاستقيت به ثانياً ، فانقطع الحبل ، ووقع الخفّ في البئر . فربطت الخفّ الآخر ، وشربت حتى رويت . ثم قطعته فربطت اعلاه على رجلي ، بحبل البئر وبخرق وجدتها هنالك . فبينا انا اربطها وافكر في حالي ، اذ لاح لي شخص ؛ فنظرت اليه فاذا رجل اسود اللون ، بيده ابريق وعكّاز ، وعلى كاهله جراب . فقال لي : « سلام عليك ! » فقلت له : « عليك السلام ، ورحمة الله وبركاته » فقال لي بالفارسية : « جيكس » معناه : « من انت ؟ » فقلت له : « انا تائه ! » فقال لي : « وانا كذلك » . ثم ربط ابريقه بحبل كان معه ، واستقى ماء . فاردت ان اشرب ، فقال لي : « اصبر » . ثم فتح جرابه فاخرج منه غرفة حمص اسود مقلوّ مع قليل ارز ، فاكلت منه ، وشربت . وتوضأ وصلّى ركعتين ، وتوضأت انا وصليت . وسألني عن اسمي فقلت : « محمد » . وسألته عن اسمه فقال لي : « القلب

الفارح » . فتفاءلت بذلك ، وسررت به .

ثم قال لي : « بسم الله ! ترافقني » فقلت : « نعم » . فمشيت معه قليلاً . ثم وجدت فتوراً في اعضائي ، ولم استطع النهوض ، فقعدت . فقال : « ما شأنك ؟ » فقلت له : « كنت قادراً على المشي قبل ان القاك ، فلما لقيتك عجزت » . فقال : « سبحان الله ! اركب فوق عنقي » . فقلت له : « انك ضعيف ! ولا تستطيع ذلك » . فقال : « يقويني الله ! لا بدّ لك من ذلك » . فركبت على عنقه ، وقال : « اكثر من قراءة : « حسبنا الله ونعم الوكيل ! » فاكثرت من ذلك ، وغلبتني عيني . فلم أفق الا لسقوطي على الارض . فاستيقظت ، ولم ارَ للرجل اثراً ، واذا انا في قرية عامرة . فدخلتها فوجدتها لرعية الهنود ، وحاكمها من المسلمين .

ثم يلتحق باصحابه ويتابع السفر فيمر بنهر آب سياه ، فمدينة قِنَوْج ، فمدينة موْري ، فمدينة مَرْه ، فمَلابور ، فكاليور ، فبَرْوَن « والسباع بها كثيرة » ؛ وفيها السحرة المعروفون « بالجوكية » . ثم يسير الى جندبري ، فظهار ، فأجين ، فدولة آباد ، فقلعة الدُوَيقير « وبها فيران ضخام اعظم من القطوط ، والقطوط تحرب منها » ، فنَدَرْبار ، فصاغر

كِنْبايَة

ومن صاغر يسافر الى كِنْبايَة ، فكاوى ، فقَنْدَهار . ومنها يركب البحر في مركب اسمه « الجاكر » فيصل الى جزيرة بَيْرَم ، فقُوقَه ، فسندابور ، فهِنَوْر ،

بلاد المليبار

وبعد ثلاثة ايام وصلنا الى بلاد المليبار . وهي بلاد الفلفل . وطولها مسيرة شهرين ، على ساحل البحر ، من سندابور الى كولَم .

ذكر الفلفل

وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب، وهم يغرسونها ازاء النارجيل فتصعد فيها كصعود الدوالي. الا انها ليس لها عسلوج وهو الغزل، كما للدوالي. واوراق شجره تشبه اوراق الخِيلْ (١)، وبعضها يشبه اوراق العلّيق. ويثمر عناقيد صغاراً حبها كحبّ ابي قنينة (٢)، اذا كانت خضراً. واذا كان اوان الخريف، قطفوه وفرشوه على الحصر في الشمس كما يصنع بالعنب، عند تزبيبه. ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يبسه ويسودّ.

واول مدينة دخلها من بلاد مليبار، مدينة ابي سرور، فمدينة فاكَنور وذكر سلطانها، فمدينة منجَرور، وذكر سلطانها ايضاً، فهيلي، فجُرفَتَن، فبُدْفَتَن، فقَنْدَرينا، فقالقوط

قالقوط

وهي احدى البنادر العظام ببلاد المليبار، يقصدها اهل الصين، والجاوة، وسيلان، والمَهْل، واهل اليمن، وفارس. ويجتمع بها تجار الآفاق، ومرساها من اعظم مراسي الدنيا.

وذكر سلطانها الكافر. وبعد ان اقام فيها ثلاثة اشهر، تركها قاصداً

---

١) الخيلْ: ويُعرف ايضاً «بالسذاب»، ضرب من الاعشاب، ينبت في آسيا واوروبا الجنوبية، متقابل الورق، مجتمع الزهر، ويكون ثمره في جوزة فيها خمسة مقاطع. — ٢) اي العنب

الصين. فوصل الى مدينة كَوْلَم، وهي احسن بلاد المليبار، وشاهد شجر القرفة والبقم «وهي حطبهم هنالك» يشعلونها لطبخ الطعام

ثم سافر من كَوْلَم الى هِنَور حيث اقام ثلاثة اشهر، واشترك في غزوة ضد كفّار سندابور، ووصل الى مدينة شاليات، فاقام بها طويلاً، وعاد الى قالقوط. ومن هناك سافر الى جزائر ذيبة المهل

جزائر ذِيبة (١ المَهْل

وهذه الجزائر احدى عجائب الدنيا. وهي نحو الفي جزيرة. ويكون منها مائة، فما دونها، مجتمعات مستديرة كالحلقة لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب الا منه. واذا وصل المركب الى احداها، فلا بد له من دليل من اهلها، يسير به الى سائر الجزائر. وهي من التقارب بحيث تظهر رؤوس النخل التي باحداها، عند الخروج من الاخرى. فان اخطأ المركب سَمتَها، لم يمكنه دخولها، وحملته الريح الى المَعْبر (٢ او سيلان

ثم يذكر اهلها وعاداتهم، واشجارها، واكثرها النارجيل، واعمال عفاريتها، ويذكر سلطانتها، وتنقّله في مختلف جزرها، ثم زواجه في هذه الجزر وتوليته القضاء. وبعد ان زار منها جزيرة المَهْل، وجزيرة ملوك، سافر في ٢٦ آب ١٣٤٤

سيلان — سرنديب

فسرنا تسعة ايام، وفي التاسع منها خرجنا الى جزيرة سيلان. ورأينا جبل سرنديب فيها ذاهباً في السماء كانه عمود دخان... ولما صعدناه كنا

---

١) ذيبة: تصحيف لفظة «دوِيَهَة» السنسكريتية، ومعناها: «جزيرة»
٢) المَعْبَر: هي البلاد المعروفة اليوم «بكورومانديل»

نرى السحاب اسفل منا، قد حال بيننا وبين رؤية اسفله. وفيه كثير من الاشجار التي لا يسقط لها ورق، والازاهير الملوّنة، والورد الاحمر على قدر الكف. وفي الجبل طريقان الى القدم (١: احدهما يُعرف «بطريق بابا»، والآخر «بطريق ماما» يعنون آدم وحواء، عليهما السلام. فاما «طريق ماما» فطريق سهل، عليه يرجع الزوار اذا رجعوا؛ ومن مضى عليه، فهو عندهم كمن لم يَزُر. واما «طريق بابا» فصعب وعر المرتقى.

ذكر القدم

واثر القدم الكريمة، قدم ابينا آدم (صلعم) في صخرة سوداء، مرتفعة، بموضع فسيح. وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة، حتى عاد موضعها منخفضاً. وطولها احد عشر شبراً.

وذكر سلطان سيلان. ثم سافر الى مدينة مَنَار مَنْدَلي، فكُنْكَار

ذكر سلطانها

وهو يُعرف بالكُنار، وعنده الفيل الابيض. ولم ارَ في الدنيا فيلاً ابيض سواه، يركبه في الاعياد، ويجعل على جبهته احجار الياقوت العظيمة.

---

١) القَدَم: اي قدم آدم، لانهم يزعمون ان آدم داس في ذاك الجبل، فاثرت قدمه هنالك

ذكر الياقوت

والياقوت العجيب البَهْرَمان، انما يكون بهذه البلدة. فمنه ما يُخرج من الحُور، وهو عزيز عندهم. ومنه ما يُحفر عنه. وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها. وهي متملّكة، فيشتري الانسان القطعة منها، ويحفر عن الياقوت، فيجد احجاراً بيضاً مشعَّبة. وهي التي يتكوّن الياقوت في اجوافها. فيعطيها الحكاكين فيحكونها حتى تتفلّق عن احجار الياقوت. فمنه الاحمر، ومنه الاصفر، ومنه الازرق ويسمونه «النيلم»

ذكر القرود

والقرود بتلك الجبال كثيرة جدًا. وهي سود الالوان، لها اذناب طوال، ولذكورها لحى كما هي للآدميين. واخبرني الشيخ عثمان وولده، ان هذه القرود لها مقدّم تتبعه كانه سلطان، يشدُّ على رأسه عصابة من اوراق الاشجار، ويتوكأ على عصاً. ويكون عن يمينه ويساره اربعة من القرود، لها عصي بايديها. وانه اذا جلس القرد المقدّم، تقف القرود الاربعة على رأسه، وتأتي انثاه واولاده فتقعد بين يديه كل يوم، وتأتي القرود فتقعد على بعد منه. ثم يكلمها احد القرود الاربعة، فتنصرف القرود كلها. ثم يأتي كل قرد منها بموزة او ليمونة او شبه ذلك. فيأكل القرد المقدّم، واولاده، والقرود الاربعة.

ذكر العلق الطيار

وبهذا الموضع رأينا العَلَق الطيار، ويسمّونه « الزُلو »، ويكون بالاشجار والحشائش التي تقرب من الماء. فاذا قرب الانسان منه، وثب عليه. فحيثما وقع من جسده، خرج منه الدم الكثير. والناس يستعدّون له الليمون يعصرونه عليه، فيسقط عنهم، ويجرّدون الموضع الذي يقع عليه، بسكين خشب معدّ لذلك. ويُذكر ان بعض الزوار مرّ بذلك الموضع، فتعلّقت به العلق. فاظهر الجَلَد، ولم يعصر عليها الليمون، فنزف دمه ومات.

بلاد المَعْبر

ورحل بعد ذلك الى مدينة كَلَنْبُو، فبطالة، وسافر منها الى بلاد المعبر فاصابتهم عاصفة قبل النزول « وراوا الموت عيانًا » ثم خلصوا. ووفد ابن بطوطة على سلطان المَعْبر، غياث الدين ووصفه، ووصف انتصاره على الكفار. ومن معسكر هذا السلطان سار الرحالة الى العاصمة، مدينة مُنْبَرَة، فرّ بفتن الى ان وصل مُنْبَرَة، وكان بها وبأ شديد فرجع الى بلاد المليبار، وجزائر ذيبة المَهْل. فسلبه الكفار بين هِنَوْر، وفاكَنور، قبل ان يصل الى جزر ذيبة المهل

ذكر سلب الكفار لنا

ولما وصلنا الى الجزيرة الصغرى، بين هِنَور وفاكنور، خرج علينا الكفار في اثني عشر مركباً حربية، وقاتلونا قتالاً شديداً، وتغلبوا علينا. فاخذوا جميع ما عندي مما كنت أدّخره للشدائد، واخذوا الجواهر واليواقيت التي اعطانيها ملك سيلان. واخذوا ثيابي والزوادات

التي كانت عندي، مما اعطانيه الصالحون والاولياء. ولم يتركوا لي ساتراً خلا السراويل. واخذوا ما كان لجميع الناس. وانزلونا بالساحل.

فرجع الى قالقوط ومنها سار الى جزائر ذيبة المَهْل

بنجالة

ثم سافر في البحر ٤٣ يوماً حتى وصل الى بلاد بنجالة (بنغال) فذكر الرخص العظيم فيها، وفضل سلطانها؛ وزار مدينة سُدْكاوان، فجبال كامَرُو « وبينها وبين سُدكاوان مسيرة شهر، وهي جبال متسعة متصلة بالصين. وتصل ايضاً ببلاد التِبت، حيث غزلان المسك ». وبعد ذلك سافر الى مدينة حَبَنْق « ويشقها النهر الازرق »، فمدينة سُنُرْكاوان

جزر الهند – البَرَهْنكار

ولما وصلناها (اي سُنُركاوان) وجدنا بها جنكاً (١ يريد السفر الى بلاد الجاوة، وبينهما اربعون يوماً. فركبنا فيه ووصلنا بعد خمسة عشر يوماً الى بلاد البَرَهْنكار، الذين افواههم كافواه الكلاب. وهذه الطائفة من الهمج، لا يرجعون الى دين المتود ولا الى غيره. وسكناهم في بيوت قصب، مسقّفة بحشيش الارض على شاطئ البحر. وعندهم من اشجار الموز والفوفل والتنبول كثير. ورجالهم على مثل صورنا، الا ان افواههم كافواه الكلاب. واما نساؤهم فلسن كذلك، ولهنّ جمال بارع... والفيلة كثيرة عندهم.

ووصل بعدها الى جاوى وذكر سلطانها واحسانه

---

١) الجنك: المركب الكبير

رصى

ذكر اللبان

وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الانسان الى ما دون ذلك. واغصانها كاغصان الخرشف، واوراقها صغار رقاق، وربما سقطت فبقيت الشجرة منها دون ورقة. واللبان صمغية تكون في اغصانها

ذكر الكافور

واما شجر الكافور فهي قصب، كقصب بلادنا. الا ان الانابيب منها اطول واغلظ. ويكون الكافور في داخل الانابيب. فاذا كسرت القصبة وُجد في داخل الانبوب مثل شكله من الكافور. والسر العجيب فيه انه لا يتكوَّن في تلك القصب، حتى يُذبح عند اصولها شيءٌ من الحيوان، والا لم يتكوَّن شيءٌ منه.

ذكر العود الهندي

واما العود الهندي فشجره يُشبه شجر البلّوط، الا ان قشره رقيق. واوراقه كاوراق البلوط سواء. ولا ثمر له. وشجرته لا تعظم كل العظم. وعروقه طويلة ممتدَّة، وفيها الرائحة العطرة. واما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها.

ذكر القرنفل

واما اشجار القرنفل فهي عادية ضخمة. وليست بمتملكة لكثرتها.

والمجلوب الى بلادنا منها هو العيدان. والذي يسميه اهل بلادنا نُوَّار القرنفل، هو الذي يسقط من زهره، وهو شبيه بزهر النارنج. وثمر القرنفل هو جوز بُوا المعروفة في بلادنا بجوزة الطيب.

ثم سافر ٣٦ يوماً فوصل الى «البحر الكامل وهو الراكد» (الپاسيفيك) فحلَّ في مرسى كَيْلوكَري ووصف ملكتها. ومنها سافر ١٧ يوماً فوصل الى بلاد الصين

الفصل الخامس عشر

بلاد الصين

اقليم الصين متسع كثير الخيرات، والفواكه، والزرع، والذهب، والفضة، لا يضاهيه في ذلك اقليم من اقاليم الارض. ويخترقه النهر المعروف «بآب حياة» معنى ذلك «ماء الحياة» ويسمى ايضاً نهر السَبَر (١، كاسم النهر الذي بالهند، ومنبعه من جبال، بقرب مدينة خان بالق (٢ تُسمى «كوه بوزنه» معناه «جبل القرود». ويمر في وسط الصين مسيرة ستة اشهر الى ان ينتهي الى صين الصين (٣ وتكتنفه القرى والمزارع والبساتين والاسواق؛ وعليه النواعير الكثيرة. وببلاد الصين السكَّر الكثير، والاعناب، والإجاص، والبطيخ العجيب. وكل ما

١) والصواب: نهر السَرُو وهو النهر الاصفر
٢) خان بالِق: هي مدينة باكين
٣) صين الصين: هي كانتون الحالية

ببلادنا من الفواكه فان بها ما هو مثله واحسن منه. والقمح بها كثير جداً ولم ار قمحاً اطيب منه. وكذلك العدس والحمص.

ذكر بعض من احوال اهل الصين

واهل الصين كفار يعبدون الاصنام، ويُحرقون موتاهم كما تفعل الهنود. وملك الصين تتري من ذرية تنكيزخان (١. وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب، ويبيعونها في اسواقهم. وهم اهل رفاهية وسعة عيش، الا انهم لا يحتفلون في مطعم ولا ملبس... انما يحتفلون في اواني الذهب والفضة. والكل واحد منهم عكاز يعتمد عليه في المشي، ويقولون: «هو الرجل الثالثة!» والحرير عندهم كثير جداً، لان الدود تتعلق بالثمار، وتأكل منها، فلا تحتاج الى كثير مؤنة. ولذلك كثر، وهو لباس الفقراء والمساكين... وعادتهم ان يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعاً، تكون القطعة منها من قنطار فما فوقه وما دونه، ويجعل ذلك على باب داره.

ذكر دراهم الكاغد التي بها يبيعون ويشترون

واهل الصين لايتبايعون بدينار ولا درهم، وجميع ما يتحصّل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً كما ذكرناه. وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد، كل قطعة منها قدر الكفّ، مطبوعة بطابع السلطان وتُسمّى الخمس والعشرون قطعة منها «بالِشت» وهو بمعنى الدينار عندنا. واذا تمزّقت تلك الكواغد في يد انسان، حملها الى دار، كدار السكّة

١) تنكيزخان: هو جنكيزخان

عندنا، فاخذ عوضها جُدُداً، ورفع تلك. ولا يُعطي على ذلك اجرة ولا سواها، لان الذين يتولّون عملها، لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان، وقد وُكل بتلك الدار امير من كبار الامراء.

ذكر ما خُصّوا به من احكام الصناعات

واهل الصين اعظم الأُمم احكاماً للصناعات، واشدّهم اتقاناً فيها. وذلك مشهور من حالهم قد وصفه الناس فاطنبوا فيه. واما التصوير فلا يجاريهم احد في إحكامه، من الروم ولا من سواهم. فان لهم فيه اقتداراً عظيماً. ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك، اني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الا ورأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد، موضوعة في الاسواق. ولقد دخلت الى مدينة السلطان(١ فمررت على سوق النقاشين، ووصلت الى قصر السلطان مع اصحابي، ونحن على زيّ العراقيين. فلما عدت من القصر عشياً، مررت بالسوق المذكورة، فرأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في كاغد، قد الصقوه بالحائط. فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبه لا تخطئ شيئاً من شبهه. وذُكر لي ان السلطان امرهم بذلك، وانهم اتوا الى القصر، ونحن فيه. فجعلوا ينظرون الينا، ويصوّرون صورنا، ونحن لم نشعر بذلك. وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمرّ بهم. وتنتهي حالهم في ذلك الى ان الغريب، اذا فعل ما يوجب فراره عنهم، بعثوا صورته الى البلاد. وبُحث عنه، فحيثما وُجد شبه تلك الصورة، أُخذ.

١) مدينة السلطان: اي خان بالق (باكين)

وجال ابن بطوطة في الصين فزار مدينة الزيتون (تشيُون-تشيو-فو)، وصين الصين (كانتون) وهيكلها، ثم سافر في النهر الى مدينة خان بالِق (باكين) بعد ان مرَّ بقَنْجَنْفُو، فبَيُوَم قُطْلُو، فالخَنْسا (هانغ- تشيو- فو) وهي تقسم الى ست مدن كبيرة، وزار فيها الامير قُرطي «وهو امير امراء الصين» وشاهد عنده عمل شَعْوَذَة فرواه:

حكاية المشَعْوِذ

وفي تلك الليلة حضر احد المشعوذة، وهو من عبيد القان (١)، فقال له الامير: «ارنا من عجائبك!» فاخذ كُرة خشب لها ثقب فيها سيور طوال، فرمى بها الى الهواء، فارتفعت حتى غابت عن الابصار. ونحن في وسط البِشور، ايام الحرّ الشديد. فلما لم يبقَ من السير في يده الا يسير، امر متعلماً له، فتعلّق بـه، وصعد في الهواء الى ان غاب عن ابصارنا. فدعاه فلم يجبه ثلاثاً. فاخذ سكيناً بيده كالمغتاظ وتعلّق بالسير الى ان غاب ايضاً. ثم رمى بيد الصبي الى الارض، ثم رمى برجله، ثم بيده الاخرى، ثم برجله الاخرى، ثم بجسده، ثم برأسه. ثم هبط وهو ينفخ، وثيابه ملطّخة بالدم. فقبل الارض بين يدي الامير، وكلّمه بالصيني. وامر له الامير بشيء. ثم انه اخذ اعضاء الصبي، فالصق بعضها ببعض، وركضه برجله، فقام سويًا. فعجبت منه، واصابني خفقان القلب، فسقوني ما اذهب عني ما وجدت. وكان القاضي، افخر الدين، الى جانبي، فقال لي: «والله، ما كان من صعود، ولا نزول، ولا قطع عضو. وانما ذلك شَعْوَذة».

---

١) القان: لقب ملك الصين والخِطا

ثم دخل الرحّالة الى بلاد الخِطا (الصين الشمالية) فوصل الى مدينة خان بالِق (باكين) «وهي حضرة القان وهو سلطانهم الاعظم الذي مملكته بلاد الصين والخِطا» ثم وصفه ووصف قصره «واكثر عمارته بالخشب المنقوش»

الفصل السادس عشر

من باكين الى فاس

ورجع المسافر على طريقه. ولما قاربوا بلاد طوالي تغيّرت الريح فأقاموا ٤٢ يوماً لا يعرفون في اي البحار هم

ذكر الرخ

ولما كان في اليوم الثالث والاربعين ظهر لنا، بعد طلوع الفجر، جبل في البحر، بيننا وبينه نحو عشرين ميلاً، والريح تحملنا الى صوبه. فعجب البحرية وقالوا: «لسنا بقرب من البرّ، ولا يُعهد في هذا البحر جبل، وان اضطرتنا الريح اليه هلكنا». فلجأ الناس الى التضرُّع والاخلاص، وجدّدوا التوبة. وابتهلنا الى الله بالدعاء، وتوسّلنا بنبيّه (صلعم). ونذر التجار الصدقات الكثيرة، وكتبْتُها لهم في زمام بخطي. وسكنت الريح بعض سكون. ثم رأينا ذلك الجبل، عند طلوع الشمس، قد ارتفع في الهواء، وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر. فعجبنا من ذلك. ورأيت

البحرية يبكون، ويودّع بعضهم بعضاً. فقلت: «ما شأنكم؟» فقالوا: «ان الذي تخيّلناه جبلًا هو الرخ، وان رآنا اهلكنا». وبيننا اذ ذاك وبينه، اقلّ من عشرة اميال. ثم ان الله تعالى منّ علينا بريح طيّبة صرفتنا عن صوبه، فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته.

وبعد شهرين وصل الى الجاوة، فنزل الى سومطرة وسار منها الى كولم، فقالقوط، ومنها الى ظفار، فسقط، فشيراز، فالبصرة، فالحلّة، فبغداد، فتدمر، فدمشق «وكانت مدّة مغيبه عنها عشرين سنة كاملة» فحمص، فحماة، وكان ذلك في اوائل حزيران ١٣٤٨ فبلغه ان وبأ الطاعون ظهر في غزّة، فرجع الى دمشق، ومنها اتى بيت المقدس، فدمياط، فالاسكندرية، فالقاهرة. ومنها حجّ الى مكة للمرّة الرابعة. وعاد الى المغرب عن طريق مصر، فوصل الى فاس في ٨ تشرين الثاني ١٣٤٩

وفي فاس نزل بلاط السلطان ابي عنان، وامتدحه كثيراً، فاستقبله هذا واكرمه. واقام ابن بطوطة في حاشيته حتى بدأ رحلته الثانية

تحفة النظار

في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الرحلة الثانية

١٣٥٠ — ١٣٥١

فاس — سبتة — جبل طارق — رُنْدَة — مربلة — سُهَيل — مالقة — بلّش — الحَمَّة — غرناطة — الحَمَّة — بلّش — مالقة — حصن ذَكْوان — رُنْدَة — قرية بني رياح — جبل طارق — سبتة — اصيلا — سلا — مراكش — سلا — مكناسة — فاس.

الرحلة الثانية

طنجة – سبتة

ولما حصلت لي شهادة هذا المقام الكريم(١ ، وعمّني فضل احسانه العميم ، قصدت زيارة قبر الوالدة ، فوصلت الى بلدي طنجة ، وزرتها .

وتوجهت الى مدينة سبتة ، فاقمت بها اشهراً ، واصابني بها المرض ثلاثة اشهر . ثم عافاني الله . . .

الاندلس

فركبت البحر من سبتة في شطي لاهل اصيلا ، فوصلت الى بلاد الاندلس . . . وكان ذلك اثر موت طاغية الروم ، أذفونس(٢ ، وحصاره الجبل عشرة اشهر ، وظنه انه يستولي على ما بقي من بلاد الاندلس للمسلمين . فاخذه الله من حيث لم يحتسب ، ومات بالوبأ (٣ الذي كان اشدّ الناس خوفاً منه .

جبل طارق

واول بلد شاهدته من البلاد الاندلسية جبل الفتح(٤ فرأيت عجائب

١) المقام الكريم : مقام السلطان ابي عنان
٢) ادفونس : هو الفونس الحادي عشر (١٣١٢–١٣٥٠)
٣) الوبأ : اي وبأ الطاعون
٤) جبل الفتح : هو جبل طارق

ما بنى به مولانا ابو الحسن (١ (رضه) واعدّ فيه ، وما زاد فيه مولانا ، ايده الله . ووددت ان لو كنتَ ممن رابط به الى نهاية العمر .

رُنْدَة – مَرْبَلَة

ثم خرجت من جبل الفتح الى مدينة رُندَة ، وهي من امنع معاقل المسلمين واجملها وضعاً . . . وكان قاضيها ابن عمي الفقيه ابو القاسم محمد ابن يحيى ابن بطوطة .

ثم سافرت منها الى مربلة ، والطريق فيما بينهما صعب شديد الوعورة . ومَربلة بُليدة حسنة خصبة .

وبات في حوز سهيل ليلة ثم سار الى

مالقة

احدى قواعد الاسلام ، وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البرّ والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه . رأيت العنب يُباع في اسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ، ورمّانها المُرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا . واما التين واللوز فيجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب . وبمالقة يُصنع الفخّار المذهّب العجيب ، ويُجلب منها الى اقاصي البلاد .

بلّش

ثم سافرت منها الى مدينة بلّش ، وبينهما اربعة وعشرون ميلاً وهي مدينة حسنة بها مسجد عظيم وفيها الاعناب والفواكه والتين كمثل بمالقة .

١) استولى ابو الحسن على جبل طارق سنة ١٣٣٣ بعد ان ظلّ نحو عشرين سنة بيد الاسبانيين . فحصنه وبنى به سوراً

ثم مر بالحمَّة الى
غرناطة

قاعدة بلاد الاندلس، وعروس مدنها. وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا وهو مسيرة اربعين ميلًا، يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة، والبساتين، والجنَّات، والرياضات، والقصور، والكروم محدقة بها من كل جهة. ومن عجيب مواضعها عين الدمع، وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل له بسواها.

ذكر سلطانها

وكان ملك غرناطة، في عهد دخولي اليها، السلطان ابا الحجَّاج يوسف ابن السلطان ابي الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر. ولم القه بسبب مرض كان به. وبعثت اليَّ والدته الحُرَّة الصالحة الفاضلة، بدنانير ذهب ارتفقت بها. ولقيت بغرناطة جملة من فضلائها.

ثم رجع منها على طريقه الى الحمَّة، فبلَّش، فمالقة، فحصن ذَكْوان، فرُندة، فقرية بني رياح، فجبل الفتح، فسبتة، فاصيلا، فسلا، فمراكش. ومن هناك رافق السلطان الى سلا، فمكناسة، ففاس.

تحفة النظار

في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

الرحلة الثالثة

اواخر سنة ١٣٥١ — اوائل سنة ١٣٥٤

فاس — سجلماسة — تَغازي — تاسَرْهلا — ايوالاتن — زاغري — كارْسَخو — مالي — قُرى منسى — زاغري — مِيمة — تُنبكتو — گوْگوْ — تكدَّا — كاهر — بلاد هكار — بودا — سجلماسة — دار الطمع — فاس.

الرحلة الثالثة

سجلماسة

توجّهت برسم السفر الى بلاد السودان، فوصلت الى مدينة سِجِلماسة. وهي من احسن المدن، وبها التمر الكثير الطيب، وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر، لكن تمر سجلماسة اطيب، وصنف «إبرار» منه لا نظير له في البلاد... واشتريت بها الجمال وعلفتها اربعة اشهر. ثم سافرت في غرّة شهر الله المحرّم سنة ثلاث وخمسين (١).

تغازى – معدن الملح

فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوماً الى تَغازَى، وهي قرية لا خير فيها. ومن عجائبها ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح، وسقفها من جلود الجمال، ولا شجر بها. انما هي رمل فيه معدن الملح يُحفر عليه بالارض، فيوجد منه الواح ضخام متراكبة كانها قد نُحتت ووضعت تحت الارض، يحمل الجمل منها لوحين. ولا يسكنها الّا عبيد مَسوفة الذين يحفرون على الملح... وبالملح يتصارف السودان، كما يُتصارف بالذهب والفضة، يقطعونه قطعاً ويتبايعون به. وقرية تغازى، على حقارتها، يُتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر. واقمنا بها عشرة ايام في جهد، لان ماءها زُعاق، وهي اكثر المواضع ذباباً.

---

١) الموافق: ١٨ شباط ١٣٥٢

ثم بسير عشرة ايام في صحراء تكثر بها الكمأة، والفل ايضاً. ثم يصل الى تامَرّهلا. فيذكر التكشيف.

ذكر التكشيف

والتكشيف اسم لكل رجل من مَسوفة، يكتريه اهل القافلة فيتقدّم الى ايوالاتن بكُتُب الناس الى اصحابهم بها، ليكتروا لهم الدور ويخرجوا للقائهم بالماء مسيرة اربع. وربما هلك التكشيف في هذه الصحراء، فلا يعلم اهل ايوالاتن بالقافلة، فيهلك اهلها او الكثير منهم.

وتلك الصحراء كثيرة الشياطين، فان كان التكشيف منفرداً لعبت به واستهوته، حتى يضلّ عن قصده فيهلك، اذ لا طريق يظهر بها ولا اثر. انما هي رمال تسفيها الريح فترى جبالاً من الرمل في مكان. ثم تراها قد انتقلت الى سواه... والبقر الوحشية بها كثيرة، يأتي القطيع منها حتى يقرب من الناس، فيصطادونه بالكلاب والنشاب. ولكن لحمها يولد اكله العطش. ومن العجائب ان هذه البقر، اذا قُتلت، وجد في كروشها الماء. ولقد لقيت اهل مَسوفة يعصرون الكرش منها، ويشربون الماء الذي فيه. والحيّات ايضاً بهذه الصحراء كثيرة.

ايوالاتن

ثم وصلنا الى مدينة ايوالاتن، في غرّة شهر ربيع الاول، بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة. وهي اول عمالة السودان. ونائب السلطان بها فربا حُسين، وفَربا معناه النائب.

ذكر مَسُوفة الساكنين بايوالاتن

وشأن هؤلاء القوم عجيب وامرهم غريب. فاما رجالهم فلا غيرة لديهم، ولا ينتسب احدهم الى ابيه بل ينتسب لخاله، ولا يرث الرجلَ الا ابناء اخته دون بنيه. وذلك شيء ما رأيته في الدنيا الا عند كفّار بلاد المليبار من الهنود. واما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات، وتعلّم الفقه، وحفظ القرآن.

بين ايوالاتن ومالي

وخرجت في ثلاثة من اصحابي. وتلك الطريق كثيرة الاشجار، واشجارها عادية ضخمة، تستظلّ القافلة بظل الشجرة منها... وبعض تلك الاشجار قد استاسن داخلها، واستنقع فيه ماء المطر فكأنها بئر ويشرب الناس من الماء الذي فيها... ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلاً حائكاً قد نصب بها مرمّته وهو ينسج، فعجبت منه.

ثم وصل الى قرية زاغري، قالى «النهر الاعظم، وهو النيل» (النيجر) «وعليه بلدة كارْسخو» وهو ينحدر منها الى كابَرَة، فزاغة، فتُنبكتو، فكَوكَو، فولي، فيوفي، فبلاد النوبة، فدُنقلة، فجنادل. ورأى ابن بطوطة التمساح بالقرب من الساحل «كأنه قارب صغير».

ثم وصل الى مالي حضرة ملك السودان، واسمه مَنسى سليمان - ومَنسى معناها السلطان - «وهو ملك بخيل لا يُرجى منه كبير عطاء» على انه احسن الى ابن بطوطة.

ذكر تذلّل السودان لملكهم، وتتريبهم له، وغير ذلك من احوالهم

والسودان اعظم الناس تواضعاً لملكهم، واشدّهم تذلّلاً له، ويحلفون باسمه فيقولون: «مَنسى سليمان كي!». فاذا دعا باحدهم عند جلوسه بالقبّة، نزع المدعو ثيابه، ولبس ثياباً خلقة. ونزع عمامته، وجعل شاشية وسخة. ودخل رافعاً ثيابه وسراويله الى نصف ساقه، وتقدّم بذلة ومسكنة. وضرب الارض بمرفقيه ضرباً شديداً، ووقف كالراكع يسمع كلامه. واذا كلّم احدهم السلطان، فردّ عليه جوابه، كشف ثيابه عن ظهره، ورمى بالتراب على رأسه وظهره، كما يفعل المغتسل بالماء. وكنت اعجب منهم كيف لا تعمى اعينهم.

ويذكر بعد ذلك «الاضحوكة في انشاد الشعراء للسلطان» ويتهكّم عليهم

ذكر ما استحسنته من افعال السودان وما استقبحته منها

فمن افعالهم الحسنة قلة الظلم. فهم ابعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح احداً في شيء منه؛ ومنها شمول الامن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم، من سارق ولا غاصب. ومنهم عدم تعرّضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان، ولو كان القناطير المقنطرة... ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات، وضربهم اولادهم عليها.

ومن مساوئ افعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرون للناس عراياً، ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤوسهم تأدّباً. ومنها ان

كثيراً منهم يا كلون الجيف والكلاب والحمير.

وخرج عن مالي في ٢٢ محرّم ٧٥٤، فسار الى خليج كبير يخرج من النيل

حكاية

السودان الذين يأكلون بني آدم

قدمت على السلطان مَنسى سليمان جماعة من هؤلاء السودان، معهم امير لهم. وعادتهم ان يجعلوا في آذانهم اقراطاً كباراً، وتكون فتحة القرط منها نصف شبر، ويلتحفون في ملاحف الحرير. وفي بلادهم يكون معدن الذهب. فاكرمهم السلطان واعطاهم في الضيافة خادمةً فذبحوها واكلوها ولطخوا وجوههم وايديهم بدمها واتوا السلطان شاكرين. وذكر لي عنهم انهم يقولون: «ان اكل الابيض مُضرّ، لانه لم ينضج». والاسود هو النضيج بزعمهم.

ومن هناك سافر الى قُرى منسى، فزاغري، فيمة، فتُنبُكتو، «وفيها قبر الشاعر المُفلق ابي اسحق الساحلي الغرناطي المعروف ببلده بالطُوَيجن» ومن هناك الى كَوكَو قرّ ببلاد بَرْدامة. ثم وصل الى تكدّا، وبخارجها معدن النحاس

وفيما هو بتكدّا وصله امر السلطان ابي عنان بالرجوع، فخرج من تكدّا في ١٢ ايلول ١٣٥٣، ومرّ بكاهُر على طريق توات «وهناك ماء يجري على الحديد، فاذا غُسل به الثوب الابيض، اسودّ لونه». ثم وصل الى

بلاد هكّار

وهم طائفة من البربر ملثّمون لا خير عندهم. ولقينا احد كبرائهم، فحبس القافلة حتى غرموا له اثواباً وسواها... وسرنا في بلاد هكار شهراً وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة، طريقها وعر.

ثم وصل الى بودا، «من اكبر قرى توات» فالى سجلماسة في اواخر كانون الاول ١٣٥٣، ومنها قصد الى فاس

انتهاء الرحلة

فوصلت الى فاس حضرة مولانا امير المؤمنين، ايده الله. فقبّلت يده الكريمة، وتيمنت بمشاهدة وجهه الكريم، واقمت في كنف احسانه بعد طول الرحلة. والله تعالى يشكر ما اولانيه من جزيل احسانه، وسابغ امتنانه. ويديم ايامه، ويمتع المسلمين بطول بقائه.

وها هنا انتهت الرحلة المسماة «تحفة النظّار، في غرائب الامصار، وعجائب الاسفار» وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجّة عام ستة وخمسين وسبعمائة (١) والحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى» (٢).

خاتمة ابن جزي

انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ ابي عبد الله محمد ابن بطوطة اكرمه الله. ولا يخفى على ذي عقل ان هذا الشيخ هو رحّال العصر، ومن قال رحّالة هذه الملّة لم يبعد. ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة، واتخذ حضرة فاس قراراً ومستوطناً بعد طول جولانه، الّا لما تحقّق ان مولانا، ايده الله، اعظم ملوكها شأناً، واعمّهم فضائل، واكثرهم احساناً، واشدّهم بالواردين عليه عناية، واتمّهم الى من ينتمي الى طلب العلم حماية.

---

١) الموافق: ١٨ كانون الاول ١٣٥٥

٢) القرآن: سورة النمل: ٦٠

فيجب على مثلي ان يحمد الله تعالى لانه وفّقه في اول حاله وترحاله، لاستيطان هذه الحضرة، التي اختارها هذا الشيخ، بعد رحلة وخمسة وعشرين عاماً. انها لنعمة لا يقدّر قدرها، ولا يوفى شكرها. والله تعالى يرزقنا الاعانة على خدمة مولانا امير المؤمنين، ويبقي علينا ظلّ حرمته ورحمته، ويجزيه عنا، معشر الغرباء المنقطعين اليه، افضل جزاء المحسنين.

اللهمّ! وكما فضّلته على الملوك بفضيلتي العلم والدين، وخصصته بالحلم والعقل الرصين، فمدّ لملكه اسباب التأييد، والتمكين، وعرفه عوارف النصر العزيز والفتح المبين، واجعل الملك في عقبه الى يوم الدين، وأره قرّة العين في نفسه، وبنيه، وملكه، ورعيته يا ارحم الراحمين.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ومولانا ونبيّنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسَلين، والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ من كتبها في صفر عام سبعة وخمسين وسبعمائة(١)، عرف الله من كتبها.

---

١) الموافق : شباط ١٣٥٦

فهرس

ص

الرحلة الاولى

مدينة الحاج ترخان ١٠٣

الفصل الحادي عشر :

القسطنطينية ١٠٤

المدينة ١٠٥

الكنيسة العظمى ١٠٦

الملك المترهّب ١٠٨

الفصل الثاني عشر : خوارزم — خراسان — أفغانستان

بطيخ خوارزم ١٠٩

سمرقند ١١٠

ترمذ — خراسان — بلخ ١١١

طوس ١١٢

قبر الرضى وقبر الرشيد ١١٢

افغانستان : غزنة ١١٣

كابُل : الافغان ١١٤

الفصل الثالث عشر : السند والهند

ص

في الصحراء ١١٤

الكركدّن ١١٥

السامرة ١١٦

سيوستان ١١٦

ذكر غريبة ١١٧

اشجار الهند وفواكهها :

العنبة — الشكي والبَرَكي ١١٨

التندو — الجمون — النارنج —

المهوا ١١٩

كسيرا ١٢٠

اهل الهند الذين يحرقون انفسهم بالنار ١٢٠

دهلي — وصفها ١٢٣

حكاية بَلَبَن ١٢٤

محمد شاه ١٢٦

فتكاته ١٢٧

قتله لاخيه — تقريبه لدهلي ١٢٨

الغلاء في الهند ١٢٩

زهد ابن بطوطة ١٣٠

الفصل الرابع عشر : على طريق الصين

اسر ابن بطوطة ١٣١
كنباية—بلاد المليبار ١٣٧
الفلفل ١٣٨
قالقوط ١٣٨
ذيبة المهل — سيلان —
سرنديب ١٣٩
القدم—السلطان ١٤٠
الياقوت—الفرود ١٤١
الملق الطيار ١٤٢
بلاد المعبر ١٤٢
سلب الكفار لابن بطوطة ١٤٢
بنجالة — جزر الهند ١٤٣
اللبان - الكافور - العود
الهندي القرنفل ١٤٦

الفصل الخامس عشر : الصين

وصف البلاد ١٤٥
بعض احوال اهلها - دراهم
الكاغد ١٤٦
احكام الصناعات ١٤٧
حكاية المشمؤذ ١٤٨

الفصل السادس عشر : من باكين الى فاس

ذكر الرخ ١٤٩

الرحلة الثانية

طنجة — الاندلس — جبل طارق ١٥٢
رندة - مالقة - بلش ١٥٣
غرناطة ١٥٤
سلطانها ١٥٤

الرحلة الثالثة

سجلماسة—تغازى ١٥٦
التكشيف ١٥٧
ايوالاتن ١٥٧
مسوفة ١٥٨
بين ايوالاتن ومالي ١٥٨
تذلل السودان ١٥٩
استحسان افعالهم واستهجانها ١٥٩
آكلة بني آدم ١٦٠
بلاد هكار ١٦٠
انتهاء الرحلة : ١٦١
خاتمة ابن جزي ١٦١

كتابخانه خصوصى
غلامحسين - سرود

الروائع

سلسلة ابحاث في الادب ، ومنتخبات من اشهر اعلامه

السلسلة الثالثة

ظهرت كلها

في النثر

٢٢ – المعلم بطرس البستاني : خطابان : تعليم النساء – آداب العرب

٢٣ – ولي الدين يكن : فصول منتخبة

في الشعر

٢١ – الشيخ ناصيف اليازجي : منتخبات شعرية

٢٤ – طرفة ولبيد : المعلقتان

٢٥ – زهير بن ابي سلمى : منتخبات شعرية

٢٦ – عمرو بن كلثوم ، والحرث بن حلزة : المعلقتان

٢٧ - عنترة : منتخبات شعرية

٢٨ – الخنساء : منتخبات شعرية

٢٩ – الحطيئة : منتخبات شعرية

٣٠ – النابغة : منتخبات شعرية

٢٧٨٢٢٩

وسنبتدئ قريباً بس